الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسـم الفلسفـة

عنـــوان المذكـــرة

وحـدة الوجـود فـي الفكـر الصوفـي و إبـن عربـي نموذجـا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص (فلسفة عامة)

إعداد الطالبة:

- سلامة منال

إشراف الدكتور:

مسالتي عبد المجيد

السنـة الجامعيـة: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا
وحبيبنا محمد –صلى الله عليه وسلم–

- ✓ أهدى ثمرة جهدى إلى شمعتان أضاءتا ليا الطريق طيلة مسيرتى الدراسية إلى من تكبد الشقاء وفضل العناء على راحتى وسعادتى أمى وأبى سندى فى الحياة حفظهما الله.
- ✓ إلى ربيع قلبى ورفيق دربى زوجى طكوك عزيز سدد خطاه وحقق مناه.
- ✓ إلى أعز الناس وأقربهم لقلبى صغيرتى وأختى أشواق وأخى الغالى محمد وبسمة قلبى وردة.
- ✓ إلى عائلتى الثانية "عائلة طكوك خالد" التى ساندتنى وشجعتنى.

سومية منال

شكر وتقدير

- الشكر لله جل جلاله وعظم سلطانه وتقدست أسماءه، الذي بفضله تتم الصالحات وتتحقق الأمنيات، وعملا بما جاء في قوله –صلى الله عليه وسلم– «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه؛ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»

- ومصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لقمان –12–

أتقدم بأحر عبارات الشكر والعرفان لأستاذي وقدوتي الدكتور: "مسالتي عبد المجيد" الذي نهلت منه نبع العلم والخلق، الذي غمرني بالتقدير والنصيحة والإرشاد والتوجيه.

سومية منال

المقدمـــــة

مقدمة:

يشكل التراث الفكري الإسلامي إحدى الأقطاب والركائز الأساسية في تطوير التراث الفلسفي العالمي ككل بداية بالفلسفة والتي شملت البحث في الكليات منذ ارهاصات التفكير اللاهوني الخرافي في الحقبة اليونانية إلى غاية تأسيس العقل الفلسفي الفعال، مرورا بعلم الكلام وأصول الفقه ومحاولة الجمع بين ما هو عقلي وما هو نقلي، وصولا للتصوف الذي اعتبر من أهم محطات تاريخ الفلسفة الإسلامية.

فالتصوف في بادئ الأمر كان عبارة عن سلوك ونزوع فطري للكمال الإنساني بالاعتماد على ومضات الإلهام والكشف الحدسي النوراني، وذلك لإعادة تكوين الذات وتأطيرها وتأديبها للرقي بها إلى أعلى مراتب الحب الإلهي، إلا أنها لم تلبث طويلا وتغير مسارها جذريا.

فيفعل إحتكاك المتصوفة بثقافات أجنبية ومعتقدات وثنية، وكذا المستشرقون الذين استهدفوا العقيدة الإسلامية والمسلمين، هذا ما يبين الإنتقال لم يكن تغيير في المواضيع والغايات فحسب ولا مجرد الزمان والمكان بل انتقال في فضاء الفكر الصوفي، فظهرت مناهج ومذاهب وكثير من الأفكار منها الإنسان الكامل، فكرة النور المحمدي، الحلول والاتحاد تحت تيار وحدة الوجود.

فوحدة الوجود هذا المذهب الذي وازى بين الخالق والمخلوق وجعلهم في مرتبة سواء، وذلك محاولة طعن وهدم في حقائق الإسلام حيث احتل هذا المذهب مركز الصداة في تاريخ الفكر الصوفي، وكان تأثيره واضحا على مختلف التيارات والذي يعد من أكثر اهتمامات الفلاسفة والمفكرين الصوفيين.

أبرزهم إبن عربي والذي شكل الشغل لكثير من المفكرين، وذلك في التعليق على إنتاجه الفكري وشرح منهجه وآراءه باعتباره يغتزل التجربة والفكري الصوفي في أعماله بدلالات روحانية، ويزداد عدد المهتمين به وبفكره نظرا لتجسيده فكرة وحدة الأديان ووحدة المذاهب في جميع الدول الغربية والعربية، فمنهم من تبنى المذهب وقبله قبولا كليا وآخر يرفضه رفضا قاطعا، ونحن بدورنا هنا وفي ظل هذا العناد الفلسفي نبادر بطرح التساؤل التالي:

– ما هي معالم وأسس وحدة الوجود في الفكر الصوفي بصفة عامة؟ وفكر إبن عربي بصفة أخص؟.

هذه الإشكالية التي تندرج تحتها عدد من التساؤلات:

– ما هو طبيعة وحدة الوجود عند الصوفيين إجمالا وإبن عربي إستثناءا

– ما الخلفية الفكرية لوحدة الوجود عند الصوفيين وإبن عربي بصورة أخص؟

– أهم تأثيرات عقيدة وحدة الوجود على الوازع الديني والعقيدة الإسلامية ككل؟.

– من أهم رواد مذهب وحدة الوجود وأبرز أفكارهم

– ما هي أهم الإنتقادات الموجهة لهذا المذهب وإبن عربي بصفة إستثنائية؟

منهج الدراسة:

لقد استخدمت وتبنيت المنهج التحليلي النقدي، وذلك لمناقشة وشرح وتحليل الآراء والمعطيات للتوصل إلى نتائج تتحرى الموضوعية والمصداقية بعيدا عن الآراء الشخصية ذاتية ونقد الزائف منها والغير صائب.

أسباب الدراسة:

يعود الدافع لإنتقاء هذا الموضوع هو خطورة هذه المواضيع على العقيدة الإسلامية، لذلك لابد من التصدي للأفكار المنحرفة بمحاولة إزالة الشبهات وتقديم الأدلة المنطقية والعقلية وذلك بالوقوف موقف وسطي لفهم الأمور والتمسك بزمامها، فالمرافعة عن العقيدة الإسلامية ليس بالإعراض والإمتناع بل بالخوض والدفاع عن واجب الوجود والمعبود الحق وإثبات وحدانيته من خلال إحقاق الحق وإبطال الباطل.

هدف الدراسة:

– الدفاع عن العقيدة الاسلامية في وجه المشككين والأعداء وإزالة الشبهات باستخدام العقل والمنطق وذلك وفق الخطة التالية:

الفصل الأول: وذلك بعنوان ماهية وحدة الوجود حاولنا إعطاء رؤية شمولية كلية لعقيدة وحدة الوجود عند الصوفيين.

الفصل الثاني: والذي تحدثنا فيه عن المعايير والبني التي يتأسس عليها عقيدة وحدة الوجود عند الصوفيين بتدرج مفاهيمهم الخاصة لوحدة الوجود والتقنيات المستعملة في أحاديثهم عنها، وكذا الانتقادات الموجهة لهم.

الفصل الثالث: والذي يندرج تحت عنوان فلسفة وحدة الوجود عند إبن عربي والذي تطرقنا فيه ووضحنا الميزة الخاصة لوحدة الوجود عند إبن عربي بصفة خاصة من خلال تحديد الخلفية الفكرية لهذه النظرية والمذهب عنده وتحديد أهم المراتب الوجودية.

كما استندت فيه للعديد من المصادر والمراجع المتنوعة منها:

الفتوحات المكية، فصوص الحكم، كتاب المسائل.... وكذا العديد من المراجع منها وأهمها عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية.

صعوبات البحث والدراسة:

- غموض أسلوب إبن عربي لاستخدامه لغة ذات أنساق ودلالات متباينة، وذلك لاستخدام الصوفيين لغة رمزية حدسية تصويرية تعتمد على الإلهام ما يستعصي الفهم واللجوء لشارحين ومترجمين لكتبه وهذا ما يقتضي ويستدعي الكثير من الوقت.

– كثرة مؤلفات إبن عربي ما يجعلنا أمام كم هائل من المعطيات يصعب تكوين رؤية كلية شمولية للإحاطة بالموضوع من كل جوانبه.

– الحاجة الماسة لختم القرآن والإطلاع الكبيرة لسنة نبينا الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم– للمحاججة بالقرآن والسنة وذلك بالدليل والبرهان.

الفصـــل الأول

ماهية وحدة الوجود

- **المبحث الأول:** مفهوم وحدة الوجود لغة واصطلاحا
- **المبحث الثاني:** نشأة وحدة الوجود
- **المبحث الثالث:** الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود

تمهيد:

لقد ظهرت عبر تاريخ البشرية ما يعرف بالتصوف، هذا الأخير الذي تولدت عنه العديد من الأفكار، منها ما يعرف بوحدة الوجود، والتي تعتبر من أهم وأعقد وأوغل الاهتمامات في تاريخ الفكر الفلسفي ككل، والفكر الصوفي بصفة أخص، لتميزه بطابعه الفلسفي التأملي النقدي من جهة، والعقيدي الأخلاقي الديني من جهة أخرى، فقد نشأت إثر ظروف وعوامل تاريخية سابقة، وتأثرت في مختلف مراحل تطورها بكثير من الفلسفات منها الفلسفة الهندية واليونانية والإسلامية فمنها ما قابلها بالقبول الكلي ومنها ما قابلها بالرفض الحاد إذ تتقاطع مع العديد من المفاهيم لذلك نتساؤل فنقول: ما حقيقة وكنه وحدة الوجود وإرهاصات ظهورها؟

➢ المبحث الأول: مفهوم وحدة الوجود لغة واصطلاحا

مفهوم وحدة الوجود لغة:

الوحدة في اللغة-بالواو المفتوحة- في مفهومها الكلي اللغوي تعني الإنفراد، وقد أقر ذلك الكثير من المفكرين، ويتجلى ذلك في قول إبن منظور: «رجل وحيد لا أحد معه يونسه وقد وحد يوحد وحادة ووحدة ووحدا أو تقول بقيت وحيدا فريدا حريدا بمعنى واحدا».[1]

وفي حديث ابن الحنظلية وكان رجلا متوحدا أي منفردا لا يخالط. الناس ولا يجالسهم وهو ما يتضح أيضا في قول إبن فارس: «الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الإنفراد» [2]، وقول فيروز أبادي: «وحادة ووحودة ووحودا ووحدا ووحدة وحدة بقي مفردا»[3].

وبهذا تكون وحدة هي المصدر وتعني العزلة أو التفرد أو الإنفراد وعكس الجمع الكثرة الذي يحتوي على أكثر من شيئ واحد، أما الوجود فمن المصطلحات البديهية المعروفة لدى عامة الناس.

---

[1] لابن المنظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله وهاشم محمد شاذلي، دار المعارف، القاهرة، تط، 1119،ص 4780.

[2] أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1399 هـ، 1979م، ص 90.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب فيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1462م، ص 324.

فالوجود يوازي العدم ويعني الحقيقة الواقعية الدائمة في مقابل الحقيقة النظرية، وحصوله فعليا موضوع إدراك حسي أو وحداني، أما حصولا تصوريا فيكون موضوع استدلال عقلي[1].

المفهوم الإصطلاحي لوحدة الوجود:

تتعدد مفاهيم واصطلاحات وحدة الوجود بتعدد مضامينها ومواضيعها من فيلسوف لآخر، وباختلاف آراء العلماء والمفسرين، إذ من الصعب إيجاد تعريف مضبوطا وشاملا. نظرا للغموض الذي يعتري هذا المفهوم، لذلك سنحاول تقديم ايضاح حول ما هيته وكنهه، والافصاح عنه بشتى الوسائل، على اعتبارها أنها مذهب تحت شعار «الكل هو الاله والاله هو الكل» وبهذا تكون بمفهومها العام.

مذهب فلسفي يجمع بين الله والعالم، ويرددون كل الأشياء باعتباره صورة هذا العالم، ظهر في مقابل التأليه الديني أو التأليه الطبيعي، اتبعه منذ القدم كل من الصوفيين والبراهمانية.

أن الله هو الوجود الحق والعالم ما هو سوى مجموع ظواهر وأحوال ليس لها وجود حقيقي وأزلي مثال وحدة الوجود الاسبينوزية والصورة الثانية على

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، 1982م، ص 558.

العكس من هذا يتضح ذلك في مذهب وحدة الوجود عند دولباخ وبعض الهيجليين وديدور[1].

كما يصطلح عليه بلفظه: panthéisme عند كثير من الغربيين، على اعتبار أن الله هو مجموع الأشياء الموجودة في العالم، ومن المصطلحات المتداولة أيضا كلمة الإتحادية، أي أن الإتحادية لها طريقان أو لهما الاتحاد الذي يحمل بين ثناياه إتحاد واندماج شيئين، بحيث يصبران شيئا واحدا، أو ثانيهما الكثرة والتعددية وبهذا أصبحت شيئا واحد[2].

فالعلماء والمفسرين نفو ما قال إبن عربي والذي يعد أحد الركائز الأساسية لهذه النظرية، بخصوص دعوته (للحلول والاتحاد)[3]، فما يظهر للعيان آن آرائه متناقضة فيما بينها، وذلك يتجلى واضحا مبينا في المسألة 13 من كتاب المسائل يقول إبن عربي: «إذا كان يصير الذاتين ذات فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجود في حال الاتحاد، فهما ذاتان وإن عدمت العين الواحدة وبقيت

---

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 559.

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية، حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود، إشراف محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، 1349، ص 05.

(3) الحلول، حلول جواريا وعبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء، سربانيا، عبارة عن اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة لأحدهما إشارة للآخر، الإتحاد: يفيد بأن حقيقة ما حلت في حقيقة أخرى فاتحدتا دون أن تمتزجا، أنظر جميل صليبا.

الأخرى فليس للأول حد فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد»[1].

وهو ما يحوي في طياته تضارب حاد، ضف لذلك أنه سقط من عظمة الله الواحد الأحد، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وتعالى الله علو كبيرا، من هذا وكثير منهم من يقول بالاتحاد، لكن هذا نوع من الزندقة والكفر والإلحاد، من أمثال ذلك التلمساني الذي عبر بأبياته الشعرية حيث يقول:[2] «البحر لا شك عندي في توحده ****وإن تعددت بالأمواج والزبد

فلا يغرنك ما شهدت من صور****فالواحد الرب يساويالعين في العدد[3].

كما ذكرت في تعريف آخر على أنها تعاليم فلسفية تقرآن الله والطبيعة شيئا واحدا، فبعد ما كان في القدم يحتوي على أفكار مادية، مثال سبينوزا أضحى نظرية مثالية عن احتواء العالم في الله وتوفيقا بين العلم والدين[4].

---

(1) محي الدين ابن عربي، كتاب المسائل، ترجمة: دكتور سيد محمد مامادي، مؤسسة مطالعات، نهران، 1370، ص 21، مسألة 43.

(2) التلمساني: يعتبر شاعر البلاط الزياني، برز في مختلف المجالات العلمية والأدبية خصوصا الأدب، في القرن 08 هجري وله تجربة شعرية واسعة أنظر: فيبوح عبد العزيز، Asjp, cerist.dz, 2022/04/19، ساعة 6:20.

(3) شيخ الإسلام ابن تيمية، حقيقة مذهب الاتحاديين، وحدة الوجود، محمد مرضا، مطبعة المنار، مصر، 1349، ص 23.

(4) وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، موسوعة فلسفية، اشراف روزنتال وبودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطباعة، بيروت، دط، دس، ص 580.

حيث شهد هذا المذهب العديد من التسميات على مر العصور، نظرا لاختلاف وجهات النظر كل حسب المحيط، والزمن الذي يعيش فيه منها التوحيد، الفردانية والمشاهدة والفناء وكثير من المصطلحات التي عبرت على المواضيع التي طرحت عبر الحقب التاريخية.

كما يطلق عليها أيضا الواحدية تجلت فيها الأسماء والصفات مع مؤثراتها، حيث ظهرت في الذات صفة، ثم انتقلت الصفة لذات، من هنا أصبحت كل الأوصاف عين الأخرى أي أن المنتقم، فيها عين الله والله عين المنتقم والألوهية ظهرت فيها أيضا الأسماء والصفات[1].

وبهذا تكون نظرية أو اعتقاد فلسفي تجعل من الموجودات والعالم ككل يتضمن مادة واحدة، أو يرجع لعنصر أولي واحد، واعتبروه السمة الأساسية للكون إذ حاول الكثير من العلماء الربط بين الواحدية والتوحيد عبر الكثير من المفاهيم، جلها تتمركز الإله والمخلوقات جميعا.

ضف إلى ذلك أن من يقول بوحدة الوجود سلم سلبما قاطعا في نفسه على أن الكائنات هي لله جل فيها، بعبارة أخرى أن الله واحدا مطلقا اسم ولا صفة له، وأراد أن يرى نفسه في الوجود سبب ذلك ظهوره في صور الكائنات، من هنا

---

[1] عبد المنعم حنفي، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1407هـــ 1987م، ص 263.

وجد ما يسمى بصور الكائنات المعدومة والثابتة في علمه تعالى، وما يتجلى إلا على نفسه لا أن يتحد بل يحل في المخلوقات والموجودات[1].

وبهذا القول يثبت التساوي بين الله ومخلوقاته ويصبح وجوده مرهونا بوجود الله ومخلوقاته، وهذا يستحيل بل هو ضرب من الغباء، ويتمادى في حق الله جل في علاه.

ويذكر الصوفية أن التعدد لا يتضاد مع الوحدة فهو نسبي اعتباري لا حقيقي، وفي هذا السياق يذكر محمد الحنفاوي: «عند السادة الصوفية له (أي للوجود) مفهومان عام وهو الأفراد الإضافية وخاص وهو حقيقة واحدة مطلقة موجودة وجودا حقيقيا، وأما العام فأمر اعتباري لا وجود له إلا تخيلا ومظهر لحقيقة الوجود الحق الواحد واختلاف أفراد هذا الوجود العام بحسب استعدادها فلا يوجب تغيرا ولا تكثرا في تلك الحقيقة[2].

في اللغات الأجنبية وحدة الوجود يوازيها مصطلح remthes تعني أن الله هو تركيب بين الله والعالم وأنهما متشابهان متقاطعات، وهذه العلاقة لها عدة أشكال أهمها وحدة الوجود النافية للعالم acoosmiqthiesm أساس الحقائق

---

[1] أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1464 هـ، ص 31.

[2] نفس المرجع، ص 30.

المطلقة اليقينية للكون هو الواحد الأحد، وكذلك وحدة الوجود الشاملة immanetistiqantheim تجعل الله جزءا من العالم يحل فيه وقدرته تتصل بكليته[1]

ويشرح أو يؤكد وحدة الوجود بايزيد الأنصاري قائلا: «وحدة المخلوقات مع ذات الله تعالى».[2]

قال الشاعر: "ها أنا أم أنت هذان لهان****حاشاك حاشاك عن اثبات الاثنين

وأين ذاك حيث كنت أرى****قد بان داني حيث لا أنا

- **المبحث الثاني: نشأة وحدة الوجود.**

إن عقيدة أو بالأصح فكرة وحدة الوجود قديمة ترجع إلى السلف السابق من اليونانيين، باعتباره المذهب الذي يتبنى القول أن الله والطبيعة والله والعالم ككل حقيقة واحدة، على اعتبار أن الله هو صورة هذا العالم ووجوده من وجود الله فهما يتماثلان، إذ كانت إرهاصات ظهورها مع المفكرين الأوائل اليونانيين.

ففلسفة وحدة الوجود قد ناصرها الكثير من الفلاسفة الماديين إستنادًا لمفهوم خاطئ لأصل العالم وبداية تأسيسه ابتداء من طاليس الذي ذكر أن الحياة تدور مع

---

(1) محمد عباسة، مجلة حوليات التراث، العدد 10، جامعة مستغانم الجزائر، 2010، ص 45.

(2) احسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2005م، ص 315.

الماء وجدودا وعدما، في حين أكد كلمة لي واحدة أنا كسمنس أن الهواء هو المادة الأولى، والمنشأ الأساسي للكون، أما فيثاغورس فيقول بالعدد وموجودات العالم أو مخلوقاته ترجع إلى الأعداد سواء فردية أو زوجية، وأثبت أناكسيمندر أن اللانهائي أو ما يدعى بالأبيرون، وهيراقليدس الذي ذهب بدوره إلى النار أن الكون يسير وفق قانون عام، واكسونوفان الذي بدوره يقول أن الطين هو المادة الأولى لبناء هذا الكون وكل هؤلاء يقولون بأزلية العالم في وحدة الوجود، أو يزعمون أن ذات الله هي ذواتهم المقدرة والاله صورة مماثلة مشابهة للطبيعة وتم تشبيه ووضع صورة لتقريب هذه العلاقة بوصفها كرة مستديرة تتساوى جميع أقطارها من المركز للمحيط[1].

ووفقا لهذا المفهوم ظهرت صور مختلفة لفلسفة وحدة الوجود في أصلها الإلحادي منها مدرسة للطبيعة أو نفي العالم، مدرسة الوجود المطلق، مدرسة وحدة الوجود، مدرسة الرفض العام ولم تتوقف عند هذه المدارس فقط بل وجدت في العديد من الفلسفات عبر الحقب التاريخية للفلسفة بداية الفلسفة اليونانية مرورا بالفلسفة الإسلامية مع المتصوفين الذين أضافوا وأشادوا بهذا المذهب بل قدسوها

---

[1] عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم، فلسفة التصوف بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، ابن عربي نموذجا، مجلة كلية الآداب ، دس، ص 116.

إلى اعتبارها عقيدة من عقائد الصوفيين والفلسفة الحديثة وصولا للفلسفة المعاصرة.

في حين اعتبر عدد من الزاهدين في كثير من أحاديثهم أن وحدة الوجود مستمدة من كتاب الله في محكم تنزيله حيث اتفق العديد من الفلاسفة أن جميع الكائنات انبثقت من العالم إلهي، الذي سبق وجودها والأرواح تعود إلى هذه العوالم فقد اعتبر البسيط هي والعلاج وكثير من المتصوفين أن كل ما يجري في الكون يرجع للواحد الأحد سواء من حيث صفاته أو أفعاله إستنادا لفكرة النور المحمدي، وصرحوا أن الخلق يعود لفكرة العقل الفعال الهيلينية والأشعرية، يقول أن جميع الحوادث الكونية أفعال إلهية التي تحدث عنها الفرابي، وذكر الجبلي وابن عربي أن الشهادة تعني حلول الله في جميع موجوداته ، ما يقتضي أن تكون مجموعة الكائنات جديرة بالعبادة، ولهذا حكم الجيلي برد شرف إبليس وابن عربي برد شرف فرعون[1].

وتعالى الله علوا كبيرا عن هذا القول فكيف نسويه مع خلائقه وهو العظيم إذ أن كفر و تجبر إبليس صريحا في قوله تعالى: ({ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ

[1] عبد الله حسين، التصوف والمتصوفة، مؤسسة هنداوي، مط، 2017، ص.

لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا}) [1].

وكيف نعبده والله ربنا تتجلى عظمته ووحدانيته في جميع خلائقه وأفعاله صغائرها وكبائرها، أما فرعون فقد طغى وبغى وأعرض عن طاعة الرب الأعلى، الملك الظالم، الكافر، الفاجر يستعبد الناس ويهينهم، وهو العبد الضعيف لقوله تعالى: ({ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا }) [2]

فكان يتسلط على شعب بني اسرائيل سلالة يعقوب بن اسحاق لقوله تعالى: ({ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَاءَهُمْ }) [3]

والله أثبت وحدانيته في كثير من آياته لقوله تعالى: ({ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}) [4]. فلو افترضنا وجود الهين وأراد شيئين مختلفين وأراد الأول شيئا والثاني شيئا آخر فأي إرادة ستتحقق، وخالق العباد تبارك الله أحسن الخالقين يسبح له ما في السماوات والأرض يقول تعالى: ({ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ }) [5].

---

(1) سورة الكهف، الآية 50.

(2) سورة القصص، الآية 04.

(3) سورة القصص، الآية 04.

(4) سورة الأنبياء، الآية 22.

(5) سورة الأعراف، الأية 54.

فظهر بما يعرف بوحدة الوجود الروحية ووحدة الوجود المادية، وذلك بقولهم حلول الخالق في مخلوقاته فيصبحان شيئا واحدا لا يمكن وجود أحدهما دون الآخر، ورغم ذلك تم الإصطلاح على مركز الكون والمبدأ المنظم والمسير والمؤطر لتكون باسم "الإله"، وهي ما تعرف بوحدة الوجود الروحية بعد ذلك تم الخروج عن أية لغة روحية، والترفع كل مثالية، لتطلق عليه بقوانين الطبيعة أو القوانين العلمية، ولكن رغم الاختلاف إلا أن الأساس والبناء واحد[1].

ولكن هذا القول فيه تباين حاد، أو بالأحرى والأصح تضارب فتارة يصرحون بوجود إله واحد خالق للكون، وتارة ينفون ذلك ويقولون باتحاد الله مع موجوداته، وكيف يا ترى هذا وهو الخالق الواحد الصمد يجعلون وجوده مرهونا بما يخلق، فهذا لا يتصوره عقل ولا يقبله منطق وهو خالق وصانع مادته الأولى قبل وجود أساسا.

وكانت عقيدة أو مذهب وحدة الوجود بداياته كإسم لعلم مستقل مع المتصوفة، فالتصوف في جوهره ما هو إلا اعتقاد بوحدة الوجود، لذلك من الخطأ عد أو اعتبار التصوف والمتصوفة كانوا على السير الصحيح والمنهج المستقيم

---

[1] عبد الوهاب المسيري، اللغة والمحاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1427 هـــ، 2006م، ص 225.

والصوفية بحد ذاتهم يولون أو يعتبرون التصوف مخالف للزهد وعبادة الله حق عبادته[1].

وفي هذا يقول السهروردي: "التصوف غير الزهد، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد من أوصاف وإضافات لا يكون يعرفها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا[2].

وبالتالي لا يصح أن نسوي بين كل المتصوفة فهناك المتطرفين والغلاة في مذهبهم وتوجههم، وهناك من حمل لواء التصوف اسما وفعلا وقصد العروف من كل ملذات الدنيا والتوجه لعبادة الله قولا وفعلا، أمثال الحسن البصري، فكان قدوة يقتدى بها على سنة نبينا المصطفى المختار، ووصل بهم الحد لإثبات صحة الأديان جميعها من جهة بناءها على فكرة وحدة الوجود، ويأتي هذا على ثلاث صور الصورة الأولى هي العابد أي أن الإنسان إذا كان محل تجلي الإله فترة كل أفعال الإله، والصورة الثانية المعبودات والله جل في علاه تجلى وظهر في هذه المعبودات، أما الصورة الثالثة بالنظر للعابد والمعبود، فإن بالوحدة يصير ويصبح العابد والمعبود صورة واحدة وبهذا تكون وحدة الوجود متضمنة لوحدة الأديان[3].

---

(1) أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية، مرجع سابق، ص 83.

(2) نفس المرجع، ص 85.

(3) لطف الله خوجة، وحدة الأديان في تأصيلات التصوف وتقريرات المتصوفة، مكتبة الملك فهد الوطنية، خوجة، ط1، 1432 هـ، 2011م، ص 22.

وهذا المذهب قد يتم ويرجع إلى السلف السابق من البراهمانية والرواقية والأفلاطونية المحدثة والصوفية باعتبار الروافية يعبدون الله والعالم شيئا واحدا ولا ينفصلان وذكر البرهامانيون، أن براهمان هو الحقيقة الكلية ونفس العالم وجميع الأشياء ما هي سوى أعراض أو مظاهر لهذه الحقيقة، أما المتصوفون فيعتبرون الله هو الحق والعالم ما هو إلا مجرد مظهر من مظاهر الذات الإلهية[1].

هذا ما يبرهن تسلسل هذا المذهب عبر التاريخ من الفكر الشرقي القديم إلى يومنا الراهن، وفي كل حقبة زمنية تعطيها تصورها الخاص وتختلف باختلاف الثقافات والشعوب وحسب الزمان والمكان.

- **المبحث الثالث: الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود.**

إن وحدة الوجود ووحدة الشهود مصطلحين متلازمان لا يفترقان فكما ذكرنا سابقا وحدة الوجود فإن وحدة الشهود تعني في مضمونها الكلي.

وحدة الشهود نوع من الإحساس يرتبط بالجانب الوحداني النفسي، يحدث للعباد نتيجة إستغراقهم وتعمقهم أو تمسكهم بذكر الله، أو خوفا وطمعا منه أي رغبة ورهبة[2].

---

(1) جميل صليبا، معجم الفلسفي، ج2، ص 569.

(2) أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية، وحود الوجود الخفية، ص57.

ووقوع هؤلاء العباد في هذه الحال لحالتين أو لها شدة التمسك بالله، وثانيها ضعف قلوبهم وعدم استيعابهم ما يرد من أقوال سواء الأحاديث والقرآن[1].

وفي هذا السياق يقول إبن تيمية: (الفناء شهود يحصل لكثير من السالكين فإنهم لفرط إنجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم أن نشهد غير ما نعبد، ونرى غير ما تقصد، لا يخطر ببالهم غير الله..... فإذا قوي على صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، و بمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره)[2].

وبهذا فإن حال وحدة الشهود هو الفناء وهي تجربة من تجارب الصوفي، في حين وحدة الوجود هو البقاء، وباعتبار الفناء والبقاء متطابقان لا ينفصلان، أي لو قال الصوفي قال الصوفي لا أرى شيئا غير الله فهو في حال وحدة الوجود بحيث أن هذين المصطلحين يعبران عن التجربة الصوفية، فإذا كنت فانيا في شيئ فلا بد أن تكون باق بغيره، وإذا كنت باقيا في شيئ فلا بد أن تكون فان لا محال بغيره.

---

(1) نفس المرجع، ص 58.

(2) حسن الفاتح قريب الله، فلسفة وحود الوجود، ص 192.

ضف إلى ذلك أن البقاء عند بعض الفرق والطوائف بقاء للطاعات، والفناء زوال للمعاصي في حين أن البعض يرى أن البقاء بمعنى استواء الله ويزيعه في كل شيئ، والفناء عكس ذلك في حين يزعم البعض أي البقاء بقاء بالحق[1].

يقول ابن العربي[2]: "إن الفناء أخو العدم وله السلطن ان حكم

ثم الفناء عن الفناء حجاب ما ينفي الظلم

هي لفظة ما تحتها عين ولكن تحتكم

والفناء على ستة أصناف، حيث يتعلق الصنف الأول أو بالأحرى الطبقة الأولى من الطبقات وهي أن تبتعد عن المعاصي، وليس ذلك عصمة ورجال الله في هذا النوع من الفناء على قسمين، لا يفعلون سوى المباح ولاثبات فاعله ولا يعاقب تاركه، وإن فعلوا معاص يدعون أن الله سيغفر لهم، والقسم الآخر يعلمون أن الحياة محكومة بالقدر مما سار من الأفعال وتندرج هذه الأفعال، على حضرتين حضرة السدفة وحضرة الضلمة هي حضرة الشر والفعل المقدم للشر، في حيث أن النوع الثاني هو الفناء عن أفعال العباد وأن ذلك تيسير الله[3] للأمور

---

(1) ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد 4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420-1999م، ص 216.

(2) نفس المرجع، ص 211.

(3) نفس المرجع، ص 212.

لقوله تعالى: ({ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ }) [1] (سورة الرعد- الآية 33).

والنوع الثالث هو الفناء عن صفات المخلوقين، والصنف الرابع الفناء في الذات وأنت تعلم أنها مركبة[2].

والنوع الخامس هو الفناء عن كل العالم شهود الحق أو ذلك، أما النوع السادس أن تفنى عن كل ما سوى الله بالله أي أن تستجير بالله[3].

والنوع السابع هو الفناء عن صفات الحق ونسبها[4].

وبهذا يتحدد معنى البقاء والفناء وارتباطهما لوحدة الوجود ووحدة الشهود، وكيف يسمو المتصوفة إلى هذه المراتب، وفي كل مرتبة ينعزل ويتجرد عن كل ما ارتبط بالدنيا رغبة من التقرب إلى لله، وفي هذا انسلخوا عن دينهم والتقرب إلى الله أمر محبوب، لكن القول بالحلول والاتحاد والسمو لدرجة الالهية أمر مذموم بل كفر وزندقة، فالحلال بيِّن والحرام بيِّن، وكما جاء في كلام الله وسنة نبينا فلا افراط ولا تفريط، بل يلتزم الوسطية والاعتدال واتباع ما جاء في ديننا الحنيف رغبة ورهبة، ايمانا والتزاما، تصديقا وتثبيتا.

---

(1) سورة الرعد، الآية 33.

(2) نفس المصدر، ص 113.

(3) نفس المصدر، ص 214.

(4) نفس المصدر، ص 215.

وبهذا وحدة الشهود صنف من أصناف إثبات الوحدانية لله، لكن مباين لتوحيد الإيمان في الشريعة، على اعتبار أن التوحيد في وحدة الوجود لتوحيد يقيني، تجريبي أو ذوقي في حين التوحيد المتعلق بالشريعة يرتبط بالعقل، وبهذا يكون التوحيد الشهودي حال وتجربة لا فكر واعتقاد[1].

يقول الدكتور أبو علاء فيفي في تعريف له لوحدة الشهود بقوله: "هو التوحيد الناشئ عن إدراك مباشر لما يتجلى في قلب الصوفي من معاني الوحدة الإلهية في حال تجل عن الوصف، واستعصى على العبارة وهي الحال التي سيعرف فيها الصوفي ويحين عن نفسه وعن كل ما سوى الحق فلا شاهد غيره لاستهلاكه منه بالكلية ويقول :"هذا هو الفناء الصوفي بعينه وهو أيضا مقام المعرفة الصوفية التي ينكشف فيها للعارف معنى التوحيد الذي أشار إليه ذو النون المصري غير أن الانتقال والسير من القول أنه لا يرى غير الله إلى القول أنه لا وجود إلا الله لاتقال طبيعي ولكنه غير منطقي لا يقبله لا عقل ولا منطق.

وإذا ذكر الفناء قصد الفناء في الذات وهو نوع من أنواع الفناء، والأكثر شيوعا بين المتصوفين.

---

[1] نهاد خياطة، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1414-1994م، ص 06.

حقيقته تتجلى في محو الرسوم والأشكال بشهود واستغلال الحس وهو قصد وتعبير العديد من الفلاسفة وعلى رأسهم إبن عربي إذ يقول الشاعر: [1]

فيفنى ثن نفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء

وأما البقاء فيقصد به الرجوع لشهود لوعد التعتب والحس بعد الغياب، فهو نور من أنوار نجلياته وبالحس تتجلى كل المعاني، بهذا يكون الفناء اتساع للبقاء، فهو يعطي للكل في حقه كما يتلفظ بالفناء أحيانا على التخلي والتحلي[2]

[1] عبد الله بن عجيبة، معراج التشوق إلى حقائق التصوف، تقديم عبد المجيد حيالي، مركز التراث الثقافي المصري، الدار البيضاء، دط، 1224ه، ص 59.

[2] نفس المرجع، ص 60.

الفصـــل الثانـــــــي

عقيدة وحدة الوجود عند الصوفيين

- **المبحث الأول:** حقيقة وحدة الوجود عند الصوفيين
- **المبحث الثاني:** أساليبهم في الكلام عن وحدة الوجود
- **المبحث الثالث:** أثر فلسفة وحدة الوجود في البيئة الصوفية
- **المبحث الرابع:** الأدلة العقلية والنقلية لبطلان وحدة الوجود

تمهيد:

إرتبط التصرف عند القدم بعقيدة وحدة الوجود، هذه الأخيرة شكلت تيارا على المستوى الفلسفي الفكري المحض قائم بذاته، والتي عرفت أبعاد ..... منذ بداية، ظهورها في صورتها البدائية البسيطة، وحاول دعاتها جعلها نظرية في التوحيد الخالص، بنوعيها وحدة الوجود الإلحادية ووحدة الوجود الإيمانية، فلكل مرتكزاته الفكرية ومنطلقاته البنيوية تعكس رؤيا الإنسان ابن الطبيعة وموقفه من الآلهة، فلكل تفسيراته وآراءه لوحدة الوجود التي كان لها أثرها الواضح على البيئة الصوفية، فعرفت العديد من الانتقادات منذ بداية تأسيسها لذلك نتساؤل فنقول:

ما مضمون ونحو وحدة الوجود عند الصوفيين؟ وأهم تأثيراتها عليهم؟ والإنتقادات الموجهة لهم؟

➢ المبحث الأول: حقيقة وحدة الوجود عند الصوفيين

يتخذ التصوف توجيهين، هذا ما يجعله يتفرع إلى فرعين أولهما طريقة وآخرها حقيقة، وأما الطريقة فهي عبارة عن ممارسات نفسية يقوم بها الصوفي بالاستناد وتحت رعاية شيخ خبير بالتصوف ليصل إلى الحقيقة، وبالتالي المطلب ليست الطريقة لذاتها بل الحقيقة لا غير ذلك، في حين أن هذه الأخيرة هي التسليم والاعتقاد بوجود الوجود[1].

فالله نور في الحقيقة بل النور بذاته وفي هذا يقول الغزالي:[2] «إسم النور وضع لكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار وظواهر هذه الأجسام الكثيفة»[3].

فواجب الوجود هو حقيقة وأصل كل الموجودات باعتبار لا ماهية له لقوله تعالى: ({ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** })[4]، بمعنى أن الوجود الحقيقي الأزلي هو الله وما سواه من موجودات تجليات وظلال لوجوده، حسب التعبير الفلسفي والعرفاني.

---

(1) أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة وحدة الوجود الخفية، مرجع سابق، ص 231.

(2) الغزالي: محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالغزالي ولد بطوس سنة 450، سافر لطلب العلم في العديد من الأمكنة، درس الفقه على يد الرادكاني بطوس، لازم أم الحرمين الجويني، قرأ الفلسفة وبرع في العديد من العلوم، له العديد من المؤلفات: حجة الحق، قراصم الباطنية، إحياء علوم الدين، أنظر: عبد الفتاح سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الوفاء المنصورة، ط1، 1420هـ-2000م، ص 45-52.

(3) الغزالي، مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ-1986م، ص 83.

(4) سورة النور، الآية "04".

والمظاهر المتنوعة المتباينة من أجناس وأنواع تشبه لوجه الواحد وتعامل معه، وهذا التشبيه هو التنزيه وهو محل معنى، ومفهوم تسبيح الأشياء[1] لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2].

الوحدة عند الغزالي هي وحدة الصنعة التي تدل على الصانع الحكيم المبدع لآيات القرآن الكريم، إذ يصرح بهذا الأمر على اعتبار أن الصانع مبدع لأيات القرآن الكريم، وفي أقوال الأشعرية أن جميع وكل الحوادث الكونية أفعال إلهية محضة، وأول من قال بهذا المذهب هو ابن عربي الذي عد جل الكائنات انبثقت من العلم الإلهي الذي سبق وجودها الخارجي، والأرواح بعد الموت لترجع إلى الأصل الإلهي، وبقي الصوفيون على هذا المذهب، وفي عبارات البسطامي والعلاج أمثال الوحدين إستمدوا هذه الأفكار من القول بالنور المحمدي، الذي اعتبر مبدأ وأصل الخلق "فكرة العقل الفعال"[3] .

هناك غلو في هذا المذهب لبعض الفلاسفة فقد وصل بهم الحد للخروج من الملة وإتباع بعض المعتقدات والعقائد الوثنية التي لا أساس لها من الصحة، أبرزهم بعض الغلاة من متصوفة المسلمين أمثال محي الدين بن عربي،

---

[1] عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1407ه-1987م، ص 346-347.

[2] سورة الإسراء، الآية 44.

[3] الغزالي، مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، مرجع سابق، ص 164.

التلمساني وابن الفارض هذا وا أدى لانتشارها في بعض الدول الأجنبية، من الغرب الأوربي على يد برونو النصراني وسينوز اليهودي.

إن تصوف وحدة الوجود هو أن للكون وجودا واحدا مطلقا وهو وجود الواحد الأحد، رغم التعدد والتكثر الموجود، هذا ما يجعل وحدة الوجود في التصوف الفلسفي على قسمين: أولها مذهب يقر بوجود الممكنات والمخلوقات يطلق عليه وحدة الوجود الغير مطلق[1]، وثانيهما أصحاب وأهل الوحدة المطلقة، إذ أن هؤلاء المسلمين بالإتحاد وفي مقدمتهم ابن عربي الجبلي و السطامي وابن الفارص وابن سبعين ةآخرون، وقد حاول العديد من الصوفيون الدفاع عن هؤلاء، ردا على القائلين بالاتحاد والزندقة، من هؤلاء النابلسي الذي يرى أن أساس وحدة الوجود تكمن في مفهوم الوجود الحقيقي على اعتبار أن الممكن لا وجود له مستقل عن الحق[2].

يعتقد الصوفيون أن وحدة الوجود هي أرقى واعلى المقامات التي يصل إليها السالك في طريقه إلى الله، وأنها الدين الصحيح فهي تحقق اللذة الإلهية.

---

[1] النابلسي، كتاب الوجود، تحقيق، يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م-1424ه، ص 07.

[2] نفس المرجع، ص 08.

يقول الجيلي[1] : «تجد من اللذة الإلهية، ما يسرى في جميع أجزائك إلى أن تكاد تخرج روحك من عالم التركيب إلى عالم الأرواح، لشدة اللذة المنطبعة فيك تجدها حكم الضرورة محسوسة كما تجد لذة المحسوسات»[2].

يظهر واجب الوجود بأعيان المظاهر فيكون عين الظاهر والمظهر، وهي إحدى الصفات الواحدية ويتجلى هذا خلال الجذبات الإلهية[3].

غير أن هذا المنظر يكشف عن العالم والعلوم، سواءا ما تعلق بعلم التحول إلى صور وعلم التوحيد والوجود، وعلم المقادير، ومن خلال هذه العلوم يرى السبب الذي جعل المخلوقات تعبد غير الله، فيكشف عن السر الإلهي[4].

- **المبحث الثاني: أساليبهم في الكلام عن وحدة الوجود.**

تميز الصوفيون في حديثهم عن وحدة الوجود باستخدامهم للأسلوب الإشاري الذي يحمل معنى الجمع بين الخفي والظاهر، فكان تصريحهم بالأمور ضمني يفهم عن سياق الكلام، كما اعتمدوا على كتمانهم هذا الأمر خاصة عن

---

[1] الجيلي : عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد وكنيته "قطب الدين" ابن جيلان فنبه جيلان وهي منطقة فارسية ولد ببغداد سنة 727 وتوفي بزبيد اليمن سنة 826ه، قضى حياته في السياحة والمجاهدة الروحية: أنظر: يوسف زيدان، عبد الكريم الجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، مط، 1988، ص 13-25.

[2] عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي، المناظر الإلهية، تحقيق، نجاح محمود الغنمي، دار المنار، الأزهر، دط، دس، ص 117.

[3] نفس المرجع، ص 101.

[4] نفس المرجع ، ص 102.

المخالفين، باعتبار أنها عقيدة خفية ولكن رغم ذلك هناك من عبر عنها بأقوال صريحة واضحة، وذلك لوصوله إلى ذروة التصوف فكشف عن كل ما يجول بخاطره كان غرضه دعوة الناس لهذه الحقيقة، رغم ذلك كانوا على العموم يعتمدون على كتمانهم واخفاءهم هذه العقيدة، فير الإيماء في المقصود.

يقول ابن عربي[1]:

إن الأمور لها حد ومطلع من بعد ظهر وبطن فيه تجتمع

في الواحد العين سر بعلمه إلا مراتب الأعداد بها يقع

هو الذي أبرز الأعداد أجمعها وهو الذي ماله في العد متسع

وجاله ضيض، رحب، فصورته كناظر في مراء حين ينطبع

فما تكثر، إذا أعطت مراتبه تكثرا، فهو، بالتنزيه، يتمتع

كذلك الحق إن حققت سورته بنفسه وبكم تعلو وتتضح

وفي هذا القول إشارة إلى أن الأولياء الصالحين والمتصوفة لهم من العلم ما لا يعلمه أحد، فينكشف لهم الحق ويتضح فلا يستوعبه عقل ولا يفهمه بشر، إلا

[1] ابن عربي ، الفتوحات المكية، تحقيق، عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1394 ه-1984م، ص 516.

من عاش التجربة وذاق نفس المذاق، فيتحدثون بها لبعض ويخفونها عن غيرهم وفي هذا السياق.

يقول شيخ الطريقة الشاذلية أبو الحسن الشاذلي:[1]

« نسألك الإحاطة بالأسرار، وكتمانها عن الأغيار».

غير أن المسلك إلى هذا الأمر يأتي المجاهدة والإقبال على الله بشوق وحنين، وجهد واردة والله هو المتولي لأمر وقلب العبد فزاد حدث هذا إنكشف، واتضح سر الملكوت، وتجلت الحقائق والأسرار الغلهية، فهنا يكون دور العبد هو التصفية المجردة والصدق[2].

والعلة في هذا التجلي للأمور الروحانية هو أن الروح، إذا حادت للحس الباطن غلب سلطانها، فهو الغذاء لتنمية الروح، فيكون الفتح الإلهي ولا يكون هذا إلا لأجل العلم والأولياء، والمجاهدة في الذكر.

كما يشير أحمد المستغانمي الشاذلي في نشر العورة إلى معنى باطني فيقول: «من شروط صحة الصلاة ستر العورة، والمراد بها كتمان ما يجب كتمانه

---

[1] عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، ط3، دس، ص 135.

[2] نفس المرجع، ص 432.

في الطريق.... فيجب على مريد الدخول على الله أن تسير ما لاح له من اللوائح، التي سرها مكتوم لأن سر الله يجب تعظيمه وتعضيمة كتمانه»[1].

وفي هذا تعبير واضح عن تجنب الخوض في الأمور التي بها والعقائد التي يدينون بها فكان أسلوبهم خفي، لذا ينبغي للمريد أن يستر ويصون كل ما هو مباين لعقول الخلق، فمن فعل ذلك صانه الله، ومن فعل عكس ذلك وخانه سقط من عينه حسب تعبيرهم، إذ يقول تعالى في كتابه العظيم:({ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ})[2].

فمن لم يحفظ الأسرار ليس من الأخيار، فالتعظيم والتقدير يكمن في ذلك ومن لم يستر سر الإلهية فضح[3].

حيث يستخدم الصوفية للتواصل فيما بينهم مصطلحات خاصة بهم دون غيرهم غلا يفهمها، ولا تنكشف فتكون عبارة عن ألفاظ ومعاني وتراكيب لها صورة خاصة، ليس كما تظهر عليه.

من أكثر الكلمات شيوعا واستخداما بينهم : «الحق بالحق للحق» فيقصد بها عند الصوفيين هو الله عز وجل، وفي التفسير عن أبي صالح في قوله عز وجل:

---

[1] بن علوية المستغانمي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية، دار ابن زيدون، بيروت، ط1، دس، ص 122.

[2] سورة فصلت، الآية 46.

[3] نفس المرجع، ص 123.

({وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ})[1]، قال وذكر أن الحق هو الله تعالى وكذلك المقام وهو ما يقوم العبد في الأوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين[2] .

ضف إلى ذلك المشاهدة تعني المداناة والمحاضرة والمكاشفة، واللوائح ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والإنتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك، ويتوازى معها مصطلح اللوامع فهو قريب منه، ومأخوذ من لوامع البرق[3].

يقول أحمد المستغانمي: «المريد ينبغي له أن يكون في باطنه على حال الجيد، وفي لسانه لا ينطق بما يخالف عقائد الموحدين، وفي عبادته لا يخرج عن مذهب إمام من أئمة الدين، فقد قيل: «حقيقة النهاية هي الرجوع إلى البداية»[4].

هذا ما بين أن الصوفية كان غرضهم من تكوين قاموس لغوي وألفاظ ذات دلالات متباينة، كي لا يفهمها إلا من يعرفها، وهذا بهدف (الإجمال والستر) وحتى لا يحدث تصادم مع دعاة العقيدة الإسلامية، عند الإفشاء بما يدينون به، والأمور التي تخالف ما جاء به الأنبياء والمرسلين.

---

[1] سورة المؤمنين، الآية 71.

[2] أبي نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، دط، 1380-1960، ص 411.

[3] نفس المرجع، ص 412.

[4] ابن علوية المستغانمي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريقة صوفية، مرجع سابق، ص 65.

➢ المبحث الثالث: أثر فلسفة وحدة الوجود في بيئة الصوفية

باعتبار ابن عربي أكبر ممثلي مذهب وحدة الوجود فلم يثبت وجود فكرة وحدة الوجود في صورة مذهب، أو بالأحرى في صورة نظرية كاملة متعمقة قبله، منذ وفاته سنة 638 هـــ فهو من أسس مجموع قواعد زأسس وضوابط هذا المذهب، منذ أولى إرصاصات ظهوره إلى غاية وجوده كمذهب قائم بذاته في التصوف، فقد كان له تأثير بالغ وحاد لكثير من الصوفيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر، إبن فارض، عبد الحق بن سبعين، عفيف الدين التلمساني.... وآخرون الذين يعودون من كبار صوفية وحدة الوجود.

أثر ابن عربي بمذهبه «وحدة الوجود» في ابن فارض من خلال فكرة «وحدة الأديان» التي بالإله، من خلال أن الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم، وجميع المعبودات وأن الهدف والغاية من العبادة هي التحقق من الوحدة الذاتية معه، وعلى هذا الاساس أن يقصر عبادته على معبود واحد، فيحرم من الخير الكثير من خلال ما أشار إليه ابن العربي بقوله: «والعارف المكمل من رأى كل معبود تجلى للحق يعبد فيه» هذا ما تجلى بصورة واضحة في قول ابن فارض، وبصورة أخص التائبة الكبرى حيث يقول:[1]

---

[1] عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم، فلسفة التصوف بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، ابن عربي نموذجا، مرجع سابق، ص 131.

وابن عبد النار المجوس وما انطفأت كما جاء في الأخبار من ألف حجة

فما عبد واعنبري، وان كان قصدهم سواي، وان لم يعقدوا

رأوا ضوء نوري مرة، فتوهم وه نارا، فصلوا في الهدى بالأشعة

وكذلك عبد الحق بن سبعين الذي كان يقول بالوحدة المطلقة، التي تسلم تسليما قاطعا أن الوجود واحد والكثرة لا وجود لها بل تكون عين الوجود، وهذا ما يثبت قوله بالممكنات، إلا أن هذا لا ينفي أن ابن سبعين نقطة الإنطلاق عنده كانت على خطى فلسفة ابن عربي، من خلال تأسيسه لطريقة عرفت بالسبعينية أو الليسيبية، الذين يرون أن الوجود وحدة واحدة ليختلط فيها الزوج بالفرد، والسبب عندهم هو الأحد، والباطن هو الظاهر، والفقير هو الغني، والمؤمن هو الكافر، ضف إلى ذلك عفيف الدين التلمساني الذي يعد من كبار الصوفية، وحدة الوجود وكان بفضل كتاب فصوص الحكم أظهر هذا في كثير من أشعاره سابقة الذكر مثال:[1]

البحر لا شك عندي في توحده وإن تعددت بالأمواج والزبد

ولا يفوتك ما شاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد

[1]عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم، فلسفة التصوف بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، ابن عربي نموذجا، مرجع سابق، ص 132.

وكثير من الشعراء أمثال علي بن ونا الذي ذكر أن تلواحد يتجلى

في كل شيئ لذا يقول: [1]

قل لأصحاب العقائد قد مضى حكم القواعد

نحن أقوام نشاهد واحد من غير زائد

وهذا ما يوضح أنه ذهب إلى أبعد بكثير مما ذهب غيره لقوله بالوحدة المطلقة، فقد انتشر هذا المذهب واتخذ أبعاد كثيرة رغم الانتقادات الموجهة له، إلا أنه قد سلم به من طرف العديد من الصوفيين والزهاد.

تنوعت وتعددت تأثيرات بعقيدة وحدة الوجود بصورة واسعة وفي كل الميادين سواء في بيئة الصوفيين، أو غيرهم، وتصادمت مع العقيدة الإسلامية في أمور عدة ما تعلق منها بالإيمان بالله تعالى وأسماءه وصفاته وفي الإيمان بالنبوة والولاية، وحتى الإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر.

فالاعتقاد بوحدة الوجود آثار كارثية، تتعلق وتتصل بربوبية الله تعالى، فهم يعتبرون أن الله جل في علاه ليس خالقا باعتبار كل الموجودات خالقة، وهذا يؤكد استحالة أن يخلق الشيئ نفسه.

---

[1] عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم، فلسفة التصوف بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، ابن عربي نموذجا، مرجع سابق، ص 133.

قال القاشاني: «كل خلق تراه العيون فهو عين الحق ولكن الخيال المحجوب سماه خلقا، لكونه مستورا بصورة خلقية»[1] .

أي أن صفات الخلق من صفات الله تعالى وكل أسمائهم هي أسماء الله تعالى وتلزم عنه وجوبا وعدما.

يقول أحمد المستغانمي: «كان الله ولا عدم ولا وجود مع وجوده، والعدم المحض لو فتشته بعد ما صورته لوجدت فيه حقيقة من حقائق الله تعالى، إذ حقيقته اللذات ولا تخلوا منها الحقيقة، فلهذا سميت حقيقة الحقائق، فكل مستحيل إلا وتحته حقيقة من الحقائق غير متعاطيه بين الخلائق»[2].

أي أنه لا شيئ إلا وله صلة بالله استنادا لقوله تعالى: ({ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** })[3].

بل ذهب أهل الوحدة إلى أبعد من هذا حين أكدوا ضرورة اعتبار ووصف الله بصفات خلقه، تبارك وتعالى علوا مبيرا عن هذا بل الأدهى والأمر يتم عدة في صورة تشبيه الشيئ بنفسه.

---

[1] أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود اخفية، مرجع سابق، ص 405.

[2] ابن علوية المستغانمي، المنح القدوسية، مرجع سابق، ص 47.

[3] سورة البقرة، الآية 115.

يقول أمحد المستغانمي: «وأما نفي المماثلة فمعدوم رأسا لعدم المثل فمتى وحد حتى يماثله؟ وأما قوله: ({ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** })[1] فلعدم وجود الشيئ، ولا تحسب العالم شيئا، وإنما هو لا شيئ، ولا تعتقد أنه غير، أو أجنبي عن الحضرة الإلهية وإنما هو مظهر من مظاهرها وسر من أسرارها ونور من أنوارها[2]، قال تعالى: ({ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** })[3].

ونتيجة تأثر بفكرة الحقيقة المحدمية التي لها صلة وثيقة بوحدة الوجود، من خلال إدعائهم أن الله في بادئ الأمر كان وجودا مطلقا، لا صفة واسم له، ثم تظهر في صورة الحقيقة المحمدية.

ويتضح من هذا أن الصوفيين علو علوا كبيرا متجاهلين وصف اللع تعالى فهو الكامل البارئ الخالق تبارك وتعالى.

- **المبحث الرابع: الأدلة العقلية والنقلية لبطلان وحدة الوجود.**

إن لوحدة الوجود العديد من الشبهات، العقلية والنقلية الظاهرة والباطنة، باعتبارها معتقد باطل لا أساس له من الصحة، وذلك لما قضتها أصول الإسلام، وتضمنها الكثير من المغالطات و المنطقية البديهية.

---

[1] سورة البقرة، الآية 115

[2] ابن علوية المستغانمي، المنح القدوسية، مرجع سابق، ص 48.

[3] سورة النور، الآية 35.

يقول ابن تيمية: «إن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه»[1].

ضف إلى ذلك قولهم بأن الله وجودا مطلقا أي اعتبار أنه مجرد وهم ولا وجود له بالأساس، وهو تخيل وتصور تجسده الذات الإنسانية في نفسها حسب آرائهم، وتعالى الله جل في علاه عن هذا القول فهو الكامل الموجود قبل الوجود، والخالق لكل شيئ فكثير من الفلاسفة والصوفيين يعتقدون بهذا الإعتقاد أمثال الجبلي...

فيعتبر الجبلي أن الذات الإلهية في الدرجة الأولى وفق تسلسل الموجودات وعبر عنها "بالغيب المطلق" لعدم صداقتها مع سائر تجليتها وخلائقها، بهذا إصطلح عليها بالذات الإلهية[2].

ومن أمثلة بطلان مذهبهم وإبطال دعوى الحلولية، ما قاله الإمام أحمد: «أن الإنسان المخلوق الذي يجوز اتصافه بالنقص والعيب لا يجوز شرعا، أن يكون

---

[1] ابن تيمية، حقيقة مذهب الإتحادين أو وحدة الوجود، ج4، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1349، ص 04.

[2] بن ابراهيم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، مكتبة القاهرة، القاهرة مصر، ط1، 1420ه-1999م، ص 15.

حيث النجاسات والقاذورات فمن باب أولى أن يتنزه البارئ تعالى عن الحلول، في أماكن النجاسة والقذارة»[1].

ويظهر في كثير من اقوالهم أنهم يجمعون بين المتناقضات فبزعمهم:«وجود الله بذاته في كل مكان» ولو سلمنا بهذا جدلا وهم يأخذون بعين الاعتبار المظاهر، فهذه الأخيرة على شاكلتين وجودا أو عدما، فإن كانت وجودا فتصبح غيره وإذا سلمنا، وصرحنا بلا بطل هذا القول[2].

بل يذهبون إلى أبعد من هذا ويسلمون أنه المتكلم على لسان كل قائل فلا يكتفون بأن يكون الذي أنطق كل شيئ كما يعتبر ذلك المسلمون[3].

من خلال العقل يتضح أن الله واجب الوجود فوجوده بذاتع لا بغيره، ووجوده أزلي أبدي، وبه وجدت كل الموجودات ولا بداية ولا نهاية له، والعقل السوي يصل إلى الإيمان واليقين، فوجود المخلوق بدون خالق يرفضه العقل وسبب حجب الله نفسه عن العالم ذلك أن الكون لا يطيق، والإنسان لا يتصور تجلي الذات الإلهية.

---

(1) عبد الحليم ابن تيمية، شرح الرسالة التدميرية، مكتبة الشنقيطي اللملكة العربية السعودية جدة، ط1، 1433ه، ص 42.

(2) هبد الحليم ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على الفلسفة والقرامطة والباطنية، أهل الغلحاد من القائلين بالحلول والإتحاد، تحقيق: موسى بن سليمان الدرويش، مكتبة العلوم والحكم؟، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط3، 1466ه-6001م، ص 350.

(3) نفس المرجع، ص 349.

أما من الجانب النقلي فهناك الكثير من الشبهات والأباطيل الدالة على بطلان ما يدعون به، من آيات وأحاديث فحرفوها وجعلوها دالة غير مرادها الحقيقي، وتحتوي في طياتها على بطلان هذه العقيدة وأن الإسلام الدين الصحيح لقوله تعالى: ({ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** })[1].

استدلو بقوله تعالى: ({ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ** })[2] اعتقدوا أن الله ظهر في السماوات وفي الأرض وعلى هذه الصورة، ويتبعهم في ذلك المعطلة والعمية فالمعطلة ذكرت العكس من ذلك «أن الله لا داخل العالم ولا خارجه»[3].

وهذا قول باطل لا أساس له من الصحة فالربوبية والألوهية لله وحده، وهذا ليس في السماء ولا في الأرض غيره فهو الواحد الأحد الصمد لا يتساوى مع اسمه شيئ، وهو السميع البصير وكذلك أن هذه الآية يليها قوله تعالى: ({ **يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ** }) بمعنى أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما يخفى وما يظهر فيهما.

---

[1] سورة آل عمران، الآية 84.

[2] سورة الأنعام، الآية 03.

[3] أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية، وحدة الوجود الخفية، مرجع سابق، ص 557

واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}﴾

يقول ابن العربي: «وفي هذا المقام، القاضي بظهور هذا التجلي، نشاهد الإسم الذي بيده الختم الإلهي وكيفية فعله وهو كل اسم يصح بتجليه وصول كل شيئ في تنزله وترقيه، إلى غاية تقتضي اختتام أمره فبها بعد تجرده عن لبسه أو تلبسه به»[1].

ولكن هذا قول باطل فالرسول عبد الله ورسوله، ويتجلى واضحا هذا الأمر أتى بالرسالة وبلغ الأمانة، والتصريح بما جاء به أهل الوحدة فيه كفر وخروج عن طاعة الرب الأعلى، فكيف نسوي الله مع خلقه.

ويستدلون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت، فلم تعدني، قال رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...)[2].

فزعموا بهذا القول أن الله هو المريض وأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ولكن القول واضح جلي فكيف يكون الرب هو المريض وهو من يشفي المريض،

---

[1] إبن عربي، التجليات الإلهية، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، مركز نشر دانسكاه، طهران، دط، 1208ه-1988م، ص 217.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، 1990/04.

ويطعم الجائع، ويسقي العطشان، بل التصريح والتسليم بهذا القول ضرب من الغباء فلو سلمنا جدلا بهذا القول لأسقطنا من عظمة الواحد، وصفات كمال الذات الإلهية، كما يظهر في هذا الحديث التميز بين العبودية في قوله صلى الله عليه وسلم: «أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده» فلو كان شيئا واحدا، يقال لوعدتني لوجدتني.

الفصـــل الثالـــث

فلسفة وحدة الوجود عند إبن عربي

- **المبحث الأول:** مفهوم وحدة الوجود عند إبن عربي
- **المبحث الثاني:** المرجعية الفكرية لوحدة الوجود عند إبن عربي
  - ✓ المطلب الأول: نظرية الكلمة
  - ✓ المطلب الثاني: أثر المرأة في حياة إبن عربي
- **المبحث الثالث:** المراتب الوجودية
  - ✓ **المطلب الأول:** الألوهية
  - ✓ **المطلب الثاني:** حقيقة الحقائق الكلية
  - ✓ **المطلب الثالث:** العماء (الأعيان الثابتة)
  - ✓ المطلب الرابع: الحقيقة المحمدية
- **المبحث الرابع:** الدفاع عن وحدة الوجود عند إبن عربي

تمهيد:

يعتبر التصوف محط اهتمام الكثير من الباحثين على مر العصور، فنتجت على إثره العديد من المذاهب أبرزها مذهب وتيار وحدة الوجود، والذي إرتبط منذ بداية نشأته بمحي الدين إبن عربي، والذي أثر في التطور العام للصوفية وإعتبرت كتاباته ذروة النظريات الصوفية لما قدمته من إبداعات فنية وأدبية ونتج إثر خلفية فكرية معينة أسهمت في ظهورها في صورة نظرية متكاملة، والذي كان سببا في إنقسام المسلمين أحدهما اعتبره رأس الظلالة والإلحاد نظرا لما نشره من أفكار مبهمة وفريق اعتبره ولي صالح ومن الأولياء العارفين ونحن بدورنا هنا وفي ظل هذا العناد الفلسفي نبادر بطرح التساؤل التالي: ما أهم مميزات وخصائص وحدة الوجود عند إبن عربي؟ وما هي الخلفية الفكرية لوحدة الوجود عنده.

➢ المبحث الأول: مفهوم وحدة الوجود عند ابن عربي.

إتصل مذهب وحدة الوجود بابن عربي[1] منذ القدم، فهو أول من وضعه في صورته المتكاملة، وأعطى لها مضمون خاص تأثر به كل من لحقه في حقب تاريخه بعده إذ يتلخص مضمونها فيما يلي:

إن العلاقة بين الصفات والذات عند إبن عربي وسط في التنزيه والتشبيه، حيث يثبت ويؤكد التعالي والمطلقية من جهة الله تعالى، ونفي وتبرئته من كل عيب ونقص وأية مماثلة في صفات الكمال والجمال، هذا من جهة ومن جهة أخرى يذكر أن الصفات الإلهية يستحيل فصلها عن صفات الموجودات، وأنها تظهر انعكاسا لحقيقة إلهية بين الصفات والذات، على اتعبار أنها السبل التي يتجلى الله بها في العالم ومن خلالها سيمر الإنسان للمعرفة الواحدية للوجود الإلهي[2].

---

[1] إبن عربي: أبي بكر محمد بن علي الملقب بحمي الدين بن عربي، متوفي سنة 637 ه-1240م، كان فيلسوفا صوفيا من كبار مؤلفين، كما وكيف فهو من أخصب المؤلفين عقلا وأوسعهم خيالا، من مؤلفاته: الفتوحات المكية، ترجمان الأشةاق، فصوص الحكم، كرس حياته للكتابة في التصوف في شتى نواحيه، كان له أثر عميق في كثير من الصوفيين بعده، اصطنه أساليب ورموز تعبيرية عن فلسفته، أنظر: محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، شرح عبد الرزاق الفاشاني، دار الآفاق، ط1، القاهرة، ص 106.

[2] حسين نصر، ثلاثة حكماء المسلمين، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 1986، ص 142.

وقد أطلق عليها واصطلح بعقيدة الوحدة المتعالية للوجود والتي على أثرها إتهم بأنه حلولي، بالمعنى الفلسفي، اعتبر من أتباع ما يعرف بالتصوف الطبيعي[1].

فالوحدة عند الصوفيين هي جل التناقضات الظاهرية والتعارضات الوجودية، فهي اندماج جل الصفات المتنوعة والمتكثرة في الوجود والتي تميز عالم الكثرة[2].

إنها الاعتقاد بانفصال أي عالم من الموجودات عن الحق المطلق، فإبن عربي يؤكد على تعالي الله وأحديته بالقدر الذي تطلقه اللغة البشرية، كما جاء في رسالة الأحدية[3].

وعلى الرغم من دفاع الكثيرين عن مذهب وحدة الوجود عند إبن عربي إلا أنه مذهب إلحادي ولقي هجومات عدة من طرف العديد من الفلاسفة "برهان الدين البقاعي" وقد إتبعه في ذلك كثيرون أمثال إبن سبعين، الحلاج... وطائفة من الناس، يقولون بأن الله حل في كل شيئ ويوحدون بين كل الأديان وحتى عبادة الأوثان، وهذا ظلال وكفر وانحلال والشرك بعينه، فالله جل في علاه أثبت

---

[1] حسن نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، مرجع سابق، ص 138.

[2] نفس المرجع، ص 139.

[3] نفس المرجع ، ص 140.

وحدانيته، في كثير من آياته لقوله تعالى: ({ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)** })[1].

وقد اعتبر إبن عربي الذات الإلهية في صورة محيط واسع أخضر نتج على إثره أشكال، منها المرج وقد تبعه في ذلك جلال الدين الرومي في كثير من اشعاره، التي تتصل بالمحيط الإلهي، يتضح جليا في قوله:[2]

فاز البحر المائج

ومع كل لطمة

كانت تظهر صورة شخص

يقول آناماري شيمل: «إن الصورة تلك كان لها وجود من قبل، فكل من كان يتأمل أوجه الشبه والاختلاف بين الله والعالم وأراد أن يعبر عن الوحدة المتأصلة والإختلاف العابر كان يستخدم صورة البحر»، أما الشعر المتأخر فإنه مليئ بتلك الصور، حتى أنه من كان رافضا مذهب وحدة الوجود قد استخدم هذه الصورة[3].

---

[1] سورة الإخلاص، الآية 01-04.

[2] آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد اسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2006، ص 319.

[3] نفس المرجع ، ص 319.

وتم وضع صور عدة لتشبيه علاقة الله مع الفرد فتارة بالبحر وأخرى قطع الزجاج، ويذهبون إلى أشياء أخرى منها قطع الشطرنج، هذا ما جعل أكبر معجبين إبن عربي وأحد تلامذته الجامي، بين فيه التعلق المتبادل بين الله والإنسان، فضلوا يتغنون بالوحدة ويشيدون بها[1] ، وهم عدد كبير أمثال ذكر على سبيل المثال النسائي ما قاله في صدر حديقته مخاطبا الله في تحقيق التوازي بين الكفر والإيمان.

في تصريح آخر لابن عربي على أن وحدة الوجود هي مذهب روحي بامتياز، فلا يضبط الوجود في الحس والتجربة بل أسمى من ذلك، لأن الألوهية تمثل بالنسبة إليه المرتبة الأولى، وعلى أنه حقيقة أزلية ووجود مطلق بل أصل لكل الموجودات[2] .

وهذا ما يوضح أن إبن عربي حتى وإن دلل على وجود الخالق بالمخلوقات، إلا أن هذا لا ينفي باعترافه الحقيقي إلا الله في كثير من كتاباته، أشهرها فصوص الحكم والفتوحات المكية اللذين كان لهما أثرهما البالغ في إثبات وجود الله، إلا أن ما يهز بكيانه هو، "وإعتقاده بوحدة الوجود وأن الله والعالم شيئا واحدا بل الوجود مرآة الله"، أي أراد أن يرى نفسه في مرآة الشهود وبهذا هدم

---

[1] أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ص 320.

[2] إبن عربي، فصوص الحكم، مرجع سابق، ص 26.

معالم الألوهية الحقة، وأرسى معالم الروح الفلسفية الصوفية، فكان يبني من جهة ويهدم من جهة أخرى.

يظهر ذلك بقوله:[1] « فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها »

فما نظرت عيني إلى غير وجهه ولا سمعت أذني خلاف كلامه

وهذا ما يتنافا بشكل مطلق مع ما جاءت به العقيدة الإسلامية السمحاء، التي يوضح كيفية خلق الموجودات بصورة واضحة صريحة.

- **المبحث الثاني: المرجعية الفكرية لوحدة الوجود عند إبن عربي.**

✓ **المطلب الأول: نظرية الكلمة.**

يعود مذهب إبن عربي إلى نظرية عرفت بنظرية الكلمة logos، فقد اعتمد واستخدم حوالي 22 مصطلحا، إلى غاية وصوله لهذه الفكرة من أساسها، حيث يعود ذلك إلى عمق مذهبه في وحدة الوجود فهو يثبت العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق، بالاستناد للكلمة، ويؤكد على الجانب الإنساني لها وهو يقدس الإنسان

[1] إبن عربي، فصوص الحكم، ص 25.

بل أكثر من ذلك يجعل وجوده متصل بوجود الله، والعكس في ذلك أي أن الله في حاجة لخلقه، وقد تحدث عنها إبن عربي في كتابه الفصوص التي ذكر فيها:[1]

فأنى بالفتى وأنا أساعده وأسعده

لذلك الحق أوجدني فاعلمه ما وجد

بذا جاء الحديث لنا وحقق في مقصده

فالكلمة عند الصوفيين لها مكانة خاصة وميزة فعالة لأن كل كلمة لها فعلا مميز ونوع، من استحضار الكائن الأسمى أو الصفات الإلهية، وقد شرح إبن عربي هذا البعد المحول للكلمة وعرضه بشكل خاص فيقول: «العالم بأجمعه قد نظم وجعل حيا بكلمة إلهية واللغة البشرية، شكلها المقدس القرآني تتعلق بهذا الخطاب الكوني، فالقرآن يمثل البنية الداخلية للعالم والعالم هو قرآن شاسع»[2].

فإبن عربي يولي اهتماما خاصا في كتبه للكلمة لما له من أهمية بالغة، بل أكثر من ذلك فهو يهتم بالحروف وحتى الأعداد لما تحمله من رموز وإشارات لها أسرار خاصة.

---

[1] طالب جاسم حسن العنزي وسلمى حسين علوان، وحدة الوجود عند محي الدين ابن عربي من منظور استشراقي 546-638ه/1151-1240م، العدد 27، 2016 ص 198.

[2] بيسرلوري، من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ترجمة، لويس صليبا، دار مكتبية بيبليون لبنان، ط1، 2016، ص 55.

مثلا الأحد والأحدبية والوتر والوترية والزوج والزوجية، وكثير من العبارات عبر من خلالها عن عوالم لها أسرار خاصة، وذلك من خلال توظيف الرمز على الحروف[1].

فيبدأ أو يرسل في حديثه وكتابته بقوله: «أحمد. حمد الواحد في وحدانيته، وحدانية حمد الأحد في فرديته، فردية حمد الوتر في فرديته، وترية حمد الفر في فرديته»[2].

ومن هنا يظهر أن لنظرية الكلمة صدى خاص عند الفيلسوف الصوفي والملقب بالشيخ الأكبر إبن عربي، فقد وصلت نظرياته ذروة النظريات الصوفية، خاصة في القرن السابع والثامن هجري، فقد كلن لها أثر خاص عند مختلف الصوفيين، وذلك لتبسيط علوم عدة الرقي بها لأسمى الدرجات وذلك لتحقيق الإزدهار الصوفي المتشعب، فوضع له نهج يحتوي في طياته مختلف الأفكار والعلوم الرئيسية، وذلك لما أضفاه على حروف اللغة من رمزية أكثر وأعطاه أبعاد ميتافيزيتية صوفية.

---

[1] موصدق خديجة السيد عمور، تأويل النص القرآني عند إبن عربي من خلال تفسيره، اشراف، سلطاني، قسم الحضارة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 1438-1439ه/ 2017-2018م، ص 189.

[2] إبن عربي، كتاب الأحدية (الألف)، ترجمة : عبد الرحيم مارودیني، دار المحبة، دمشق، ط1، 2002م/2003م، ص 37.

✓ **المطلب الثاني: أثر المرأة في حياة إبن عربي:**

كانت المرأة في التصوف الإسلامي غائبه غيابا كليا عكس ما عند المتصوفة المسيحيين، فالصلاة على سبيل المثال عندهم تستهدف الارتباط وتحقيق الاتحاد بالوجود الإلهي، إذ تشكل درجات ورتب في سلم الممارسات الروحية التي تؤدي إلى الغاية التي يحددها ويتجه إليها الصوفي، فقد كانت القدسية تريزا أوفأفيلا وكثير من المتصوفة، قد اتخذت الكثير من هذه الخطوات، وقامت بها بنظام واحد وهي نوع وصنف من أصناف التأمل الذي يقوم به المتصوفة في أذهانهم، غير أن المزيج بين المبدأ الطبيعي والمادي هو سوء فهم، فالمبدأ الطبيعي لا يتعارض مع الإيمان "بحقيقة مطلقة" لتجاوزها علم الزمان والمكان[1].

حيث ذكر المستشرق بلاثيوس ماله من تشابه بين القدسية تريزا وإبن عربي لما لها من تاثير، حيث يذكر فيقول ما قاله إبن عربي: « وتحقيق أن ما في الوحد حدا إلا الله، وأنت وهذه الفكرة العميقة، التي نشبهها تماما فكرة مماثلة عند القدسية تريزا الآبلية، ومن أجلها أشاد بها ليبتز إشادة بالغة»، وهي عند إبن عربي بالينبوع والمصدر الذي يفيض عنه الشعور بالحضور الإلهي[2].

---

[1] الترستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة: عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولو، ميدان طلعة الحرب، القاهرة، مط، 1999، ص 40.

[2] أسين بلاثيوس، إبن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمان بدوي، مكتبة إنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1965، ص 161.

وقد أثنى إبن عربي على دور المرأة في التصوف الإسلامي، فأنوثتها تفتح لها آفاقا وأبعادا متشعبة في التجربة الروحية والتصوف الإسلامي ويضرب مثالا على حب رابعة العدوية لله تعالى، يظهر في أبياتها الشعرية[1] لدرجة بلوغها الفناء:

أحـــــبـــــك حـــبـــيـــن حـــب الهـــوى

وحـــــبـــــاً لأنـــــك أهـــــل لذاكـــا

فـــأمـــا الذي هـــو حـــب الهـــوى

فـــشـــغـــلي بـــذكـــرك عـــمـــن ســـواكـــا

وأمـــــا الذي أنـــــت أهـــــل له

فلســـت أرى الكـــــــــون حتى أراكا

فما الحمـــــد في ذا ولا ذاك لـــــــــي

ولكـــن لـــك الحمـــــــــد في ذا وذاك

وقد علق إبن عربي عن هذه الأبيات وناظمتها وحبها لله جل وعلاه قائلا: « يقال أن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالا ومقاما» ، فلم يقف هنا فقط بل عبر "صوفي المرأة" الشيخ الكبير وعبر عن إعجابه بنظمها وأنه يتفق عليه بهذه الصوفية، فيذكر أن أنوثتها أعطتها القدرة

[1] ساعد خميسي، إبن عربي المسافر العائد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، ط1، 1431ه-2010م، ص 204.

على التعبير وأن عددا من الصوفية يتعلمون منها، وينهجون نهجها، ولذا أعطاها مقاما ودرجة من الدرجات منها مقام التربية والمحبة[1].

فكان إبن عربي دقيقا في اختيار رموزه، ويذكر أن شهود الحق في المرأة أتم وأكمل، لهذا أشاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرأة لكمال شهود الحق فيهن، ولم تكن الشهادة في المادة وفقط، وإنما شهود الحق في النساء أكبر وأعظم وأكمل شهود[2].

ولد إبن عربي في مرسيليا الفرنسية، ترعرع على يد إمرأتين من الأولياء، الأولى في غرب العالم الإسلامي كانت شيخة صوفية، تلقت بفاطمة القرطبية، ويلقبها إبن عربي تونه حيث عبر عن إعجابه الشديد بها وذلك لوساطتها بالله عز وجل يقول عنها:

«خدمت أنا بنفسي امرأة من المخبآت العارفات باشبيلية، يقال لها فاطمة، المتنى القرطبي، خدمتها سنين وهي تزيد في خدمتي إياها، على خمس وتسعين سنة، وكنت استحي أن أنظر إلى وجهها، وفي هذا السن من حمرة خديها وحسن زعنها

---

[1] نفس المرجع، ص 204.

[2] إبن عربي، فصوص الحكم، مرجع سابق، ص 217.

وجمالها، تحسبها بنت رابع عشرة سنة من نعتها زلطافتها، وكان لها حال مع الله وكانت تؤثرني على كل من كان يخدمها من أمثالي.....»[1].

وفي هذا عبر إبن عربي عن دور المرأة وفاعليتها في خدمة التصوف والمتصوفة قولا وفعلا، لما لها من أثر عبر مختلف الأزمنة وهو ما يزيدها رونقا وجمالا، فأنوثتها تميزها عن غيرها من الموجودات وتجعلها فريدة وأقرب إلى الله.

- **المبحث الثالث: المراتب الوجودية.**

إن مراتب الوجود موازية متكاملة فيما بينها لا ينفصل بعضها عن بعض لأنه ذات طبيعة برزخية تندج ضمن العالم الوسيط، غير أن هذا الأخير يكون ضمن أربع مراتب برزخية ألا وهي:

- ✓ **المطلب الأول: الألوهية.**

تعد فكرة الألوهة إحدى مستويات ومنازل البرزخ، باعتبارها الوسيط بين الذات الإلهية والعالم، إذ هي فاصل والوسيط الوجودي المعرفي في الوقت نفسه،

[1] طالب جاسم حسن العنزي، سلمى حسين علوان، وحدة الوجود عند محي الدين ابن عربي ، من منظور استشراقي، ص 199.

فهي تحفظ التمايز بين الطرفين، غير أن هذا التصور لا يتنافى مع وحدة الوجود الشاملة[1] .

تتضمن الألوهية شقين: جانب يمثل الوحدة يندرج تحت إسم الله، وشق آخر يتمثل في الكثرة ويمثل باقي الاسماء الإلهية، المتعلقة بالكون، وبهذا تثبت الوظيفة الوسطية أو البرزخية لمصطلح الألوهية، في فهم إبن عربي، فهو يربط بين عدد من الثنائيات فمهمة هذا الوسيط هي تنزيه الذات الإلهية من الانغماس في شؤون العالم، وهي في فكر إبن عربي ومفهومها الكلي تمثل العلة الفاعلة عند الفلاسفة.

إذ تمثل في الدرجة الأولى علة ميتافيزيقية، وباعتبار لا تنفصل عن الواحد بوجود مستقل، وهذا ما يسمح لها بحل كثير من المعظلات التأويلية خاصة ما يتعلق بالآيات المتشابهة[2].

✓ **المطلب الثاني: حقيقة الحقائق الكلية.**

تعد حقيقة الحقائق إحدى آثار العالم الوسيط الذي يقع بين الذات إلهية والعالم، وبهذا تعتبر مجموع الحقائق التي يتكون منها العلم إلهي، وليس قاعدة أو

---

[1] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 1983، ص 57.

[2] نفس المرجع ، ص 67.

شرط من شروطها أن تكون هذه الحقائق لها وجود عيني سابق[1]، وهذا يتجلى صريحا في قول إبن عربي الذي يفرق فيه العلم والمعلوم.

«العلم هو عبارة عن حقيقة في النفس تتعلق بالمعدوم، والمعدومات تنقسم أربعة أقسام معدوم مفروض لا يصح وجوده البتة، كالشريك والولد للإله والصاحبة له كالشريك، والولد الإله الصاحبة له ودخول الجمل في سم الخياط، ومعدوم يجب وجوده وجودا ترجيحيا اختياريات لا اضطراريا، كشخص من الجنس الواحد وكنعيم الجنة للمؤمنين...».[2]

غير أن العدم الخالص لا يصح ربطه بالعلم لأنه ليس على نفس الشاكلة إلا النفسي المحض، لذلك لو كان هذا وسلمنا به كان وجودا والعدم لا يكون وجودا إطلاقا، فلا علما بالمحال يعود إلى العلم بأجزاء متفرقة موجودة، ولو غير ذلك ما عقلت نفيها عن الله تعالى[3].

إن لهذه المرتبة الوجودية مكانة خاصة دون غيرها وهي تعطي للفكر إستقلاليته وتميزه، وتربطه مع الجانب الواقعي والحسي العملي الميداني لسهولة التعامل معه، وتبسيط الكثير من القضايا والاندماج معه وتيسير التواصل.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، مرجع سابق، ص 67.

[3] محي الدين إبن عربي، إنشاء الدوائر، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دس، ص 11.

[3] نفس المرجع، ص 12.

إذ تتوازى المرتبة الوجودية لحقيقة الألوهية وتمثل إضافات لها وجود عيني، فلا يطلق عليها لا وجود ولا عدها وإذا كان حقيقة الحقائق هي إحدى هذه الحقائق بتوحد هاتين الحقيقتين، وبهذا يصح التسليم والتصريح بأن الجانب الباطن للألوهية وهذه الأخيرة تمثل الجانب الظاهر لحقيقة الحقائق[1].

وقد عد إبن عربي واصطلح على هذه المرتبة الوجودية أسماء عدة أولها: الهيولي أو المادة الأولى، أو جنس الأجناس أو الحقائق الأولى وبعبارة أخرى الأجناس العالمية، فهي لا تفارق واجب الوجود [2].

فمن منطلق أن الكون وجل الموجودات هي نتيجة مشيئة إلهية مطلقة، تنتقل من حال إلى حال أي من الوجود إلى العدم، فكان تصور للموجودات ومراتب الوجود جمعاء أن ربط فيما بينها وجعلها في مرتبة سواء في علاقة اتصال دائم شبهها بالدائرة، فيكون مركزها الذات إلهية ومحيطها الموجودات والعالم بأسره، والعلاقة بينهم علاقة وظيفية في اتصال دائم.

---

[1] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، مرجع سابق، ص 28.

[2] محي الدين إبن عربي، إنشاء الدوائر، مرجع سابق، ص 16.

✓ **المطلب الثالث: العماء. (الأعيان الثابتة).**

يعد العماء رتبة من مراتب التمثل الخيالي، يصطلح عليها إبن عربي بالخيال المطلق يكون ناتج عن النفس الإلهي، وهو عبارة عن الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، فالعماء هو الخيال المحقق ويظهر ذلك في قبوله صور وأشكال الكائنات واعتبار أنه عين العماء، ومن خلاله ظهرت جميع الكائنات الموجودة على سطح الأرض، وهذه المخلوقات هي الأعيان التي توجد في البرزخ والعماء هو عين البرزخ، وتكون شبيهة بالأرواح في سورة الأجسام المتشكلة وقد ضرب مثالا بالعصا والجبال في صورة الحيات تسعى[1].

لذلك يقول محمود محمود عزاب على لسان إبن عربي: «كما قال ({ **يخيل إليه** }) يعني إلى موسى ({ **من سحرهم** }) أي من علمهم بما فعلوه ({ **أنها تسعى**})، وأقاموا ذلك في حضرة الخيال، فأدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، ولهذا خاف فقيل له ({ **لا تخف إنك أنت الأعلى** })[2].

العماء يتواجد بعالم البرزخ الأعلى هي ما يسمى بالخيال المطلق، وتعتبر حضرة علمية معقولة وإذا سلمنا بأن الوجود الحادث ذكرنا أن العالم عالمات،

---

[1] محمود محمود العزاب، الخيال عالم البرزخ والمثال من كلام الشيخ الكبير محي الدين إبن عربي، مطبعة نضر، سوريا، ط2، 1414ه-1993م، ص 11.

[2] نفس المرجع ، ص 12.

ويوجد وسطهما وجود حادث حضرة يطلق عليها حضرة الغيب أو عالم الملكوت، وحضرة الحس والشهادة وعالم الحس والظهور[1].

✓ **المطلب الرابع: الحقيقة المحمدية.**

تعتبر هذه الحقيقة آخر مراتب البرزخ الأعلى أو الخيال المطلق، وفي الوقت نفسه أول مراتب الوسائط الروحية أو عالم الأمر والذي يكون عادة بين الخيال المطلق وعالم الحس والشهادة، كما أنها حقيقة روحية لا مادية موجودة في العالم ككل، تجسدت في شخصية محمد التاريخية، ويعتبرونها روح الإنسان الكامل، كما عدها إبن عربي قمة الولاية وظهر على صورة أشخاص اعتبروا بمثابة أقطاب الصوفية الباطنية[2].

وإذا كانت الألوهية تعتبر العلة الفاعلة فالحقيقة المحمدية تعتبر العلة الغائبة لذلك يقول إبن عربي:

« فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ماهي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه ما لم يكن يظهر له، من غير وجود هذا المحل ولا تجليه » فقد وجد العالم، وجود مشبع مستوي، فكان لا روح فيه كمرآة[3].

وكل الأنبياء بدءا من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ ويستقي من الحقيقة المحمدية على الرغم من تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود وخاتم

---

[1] نفس المرجع ، ص 12.

[2] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، مرجع سابق، ص 86.

[3] محي الدين إبن عربي، فصوص الحكم، مرجع سابق، ص 49.

الرسل وخاتم الولاية بنسبة الأنبياء والرسل وغيره من الأنبياء لم يكن كذلك إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية[1].

- **المبحث الرابع: الدفاع عن وحدة الوجود.**
- ✓ **المطلب الأول: الدفاع عن وحدة الوجود عند إبن عربي.**

باعتبار أن إبن عربي من أكبر دعاة وحامل لواء هذا المذهب، شهد العديد من الهجمات من المسلمين لنشره وزرع افكار تتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، في المقابل إعتبر همزة وصل بين التراث الصوفي والفلسفي، وكل المفكرين الذين جاؤو بعده، وقد انقسم المدافعون عن إبن عربي والتيار الذي سلكه وقد ساوى بين الكافر والمسلم وجعل الأديان جميعا على مرتبته سواء.

لذلك ظهر تيار دافع عن مذهب وحدة الوجود عند إبن عربي بل اعتبروه قدسيا وليا باعتبار أن العالم بالنسبة إليه وحيد نتيجة مشيئة إلهية مطلقة، إنتقل بموجبها من حال العدم إلى الوجود.

فانطلق موقف دفاعي وفي مقدمتها محمد فلاب، الذي استشهد بالشعراني ظنا منه أن النصوص التي خفيت عليه كانت مؤامرة من الحاقدين المتعصبين[2].

ووقف جمال المرزوقي موقفا وسطيا فقد أخذ واعتمد من أقواله ما يتماشى مع الشرع، ويتناسب معه بل أكثر من ذلك حيث يؤولها تأويلا حسنا، إذا كان بالإمكان ذلك وإلا لخالفه وناقضه مناقضة صريحة[3].

---

[1] نفس المرجع ، ص 64.

[2] نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، مرجع سابق، ص 23.

[3] نفس المرجع، ص 23.

فإبن عربي من خلال مذهبه الديني والفلسفي قد أضفى طابعا جديدا لكل المذاهب العالمية، وذلك لاعتماده المبدأ الجدلي فقط بل لأنه يمزج الفكر بالوجدان أي ما يجعل في الذهن ويستشعره أي عاطفته، والذوق بالخيال، ومن خلال وحدة الوجود أزال الخلافات وجمع بين المتناقضات والمتنافرات، ودعا بدوره إلى فكرة الوصال والاتصال بين كل أقطاب الكون .....إلخ.

ضف إلى ذلك لقد اعتبرت هذه النظرية الآن مثالية إلى حد بعيد، في وجود الله، واعتبرت نظرية للتوفيق بين العلم والدين، هذا ما يجعلها إتجاه ديني فلسفي في الوقت نفسه[1] .

كما تولدت عن هذه النظرية: الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل والحب الإلهي، وكذلك وحدة الأديان وكلها تعود وتصب في بوتقة واحدة وإشارة للحقيقة نفسها[2].

والحقيقة المحمدية تتجلى جليا في روح محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزكى تسليما، حيث يقول إبن عربي: «نشأ سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– على أكمل وجه، أبدع نظام..... ولما تعلقت أراد الله سبحانه بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه، برزت الحقيقة من الأنوار الصمدية»[3].

---

[1] فضيلة بن عيسى، شعرية الخطاب الصوفي "ترجمان الأشواق" لإبن عربي، نموذجا إشراف: أحمد مسعود، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران 1– 1437–1438ه/2016–2017م، ص 58.

[2] سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1401ه/1981م، ص 347.

[3] إبن عربي، رسائل إبن عربي (عنقاء المغرب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي، دط، دس، ص 36.

ضف إلى ذلك الصوفي يقوم بعملية تحويل للدلالة السابقة للألفاظ، ذلك من خلال ربطها بدلالات ومفاهيم ترتبط بالتجربة الصوفية، وبهذا فإن إبن عربي قام بإبداع وابتكار لغة جديدة تحقق نقلة نوعية على المستوى اللغوي تماما، كما حقق نقله على مستوى الشهود والنظر الصوفي من التحديق في الأعماق إلى مراقبة الآفاق، فالأسماء الإلهية تشترك وتعود للذات الإلهية وفي الوقت نفسه أعطت أمورا إضافية على معقولية الذات، وهكذا لا أحدية لموجود عند إبن عربي، وهي ما فتحت آفاقا اشتقاق مستحدثه فالصوفي لتعبير عن مشاهداته وتجاربه[1].

الاهتمام بالفكر الوجودي لإبن عربي أعطاه مكانة خاصة رغم الإنتقادات الحادة له، كما أنه من خلال هذا الطرح فتح باب للنقاش وطرح مواضيع كانت مسكوت عنها، كما أنه اتخذ وحدة الوجود من مفهوم المحبة الإلهية، سمى من خلالها إلى عالم ذوقي جمالي يظهر ذلك من خلال توصله إلى ما فيسمى بفلسفة الحب هذه الفلسفة التي اتخذت أبعادا اجتماعية.

ذكر الخالد النقشبندي في " شذرات الذكر " نقلا عن إبن عربي في كتابه الفتوحات المكية في الباب الثامن والسبعين يقول: «إن الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره إليه وإنما الأسباب في حال عدمها إلا مكاني لها طلبت وجودها، ممن هي مفتقرة إليه بالذات وهو الله، لا تعرف غيره، فلما طلبت بفقرها الذاتي من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق سواها، لا من حاجة قامت به إليها لأنها كانت

---

[1] عبد الحميد هيمه، الهاجس الإبداعي في الكتابة الصوفية عند ابن عربي، مجلة الآداب واللغات، العدد السابق، ورقلة الجزائر، ماي 2008، ص 229.

مشهودة لله تعالى، في حال عدمها النسبي كما هي مشهودة له في حال وجودها سواء...»[1].

كما جاء في كتاب شذرات الذهب قول منسوب إلى إبن عماد عن إبن عربي، أنه كان يعرف الإسم الأعضم والكيمياء وليس من خلال الكسب وكان مجتهدا اجتهادا مطلقا[2].

كما ذكر فيروز أبادي الشيخ محي الدين بحر لا ساحل له و لما ذهب لمكة مجمع العلماء، وكان هو أحد أقطاب هؤلاء العلماء كانوا يتسارعون، للحضور والتعلم على يدي الشيخ ويتدارسون مؤلفاته، فقد خاض بحار المعرفة يظهر من خلال مصنفاته الفتوحات المكية الذي ألفه بمكة والفصوص والتنازلات الموصلة...[3].

ويتحدث عنه تلميذه شيخ الإسلام المخزوني أنه سمع كلاما يقول إبن عربي بالحلول والإتحاد فنفى ذلك وذكر أنه من أئمة الأمة وسبح في بحار علو الكتاب والسنة، كما ذكر الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه المناهج في دفاعه عن إبن عربي وأكد على جادة الصواب[4].

---

(1) عبد القادر حبيب الله سندي، كتاب إبن عربي الصوفي، في ميزان البحث والتحقيق، مطبعة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1411ه/1991م، ص 329.

(2) نفس المرجع، ص 322.

(3) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، دط، دت، ص 28.

(4) نفس المرجع، ص 29.

الخاتمـــــة

خاتمة:

وما نخلص إليه ختاما أن مسألة وحدة الوجود تعتبر من المسائل الفلسفية الشائكة التي أسالت الحبر الكثير وحظيت باهتمام منقطع النظير عبر تاريخ الفكر الفلسفي قديمة وحديثة.

فوحدة الوجود في مجملها ومضمونها الكلي تجعل من الله والموجودات شيئا واحدا تحت شعار "الكل هو الإله والإله هو الكل" باعتبار كليهما حقيقة واحدة تعود للسلف السابق من اليونانيين والهندوس، والبراهمانيون وكذا الرواقيون.

تتميز عقيدة وحدة الوجود عند الصوفيين باستعمالهم للأسلوب الإشاري، فجعلوا منها عقيدة وذلك للاجمال والستر على معتقداتهم، وحتى لا يحدث تصادم مع العقيدة الإسلامية وذلك لتليمهم بالمماثلة بين الخالق والمخلوق.

كما سلك الصوفيين المذهب الباطني في تفسير النصوص الشرعية لبطلان عقيدتهم فلا توجد آية أو حديث تتناسب ما جاءت به هذه العقيدة.

ضف إلى ذلك فلسفة وحدة الوجود في تصوف إبن عربي تثبت التعالي والمطلقية لله جل في علاه وفي المقابل يربط بين الصفات الإلهية والموجودات جميعا تحت إسم عقيدة الوحدة المتعالية للوجود.

كما تعود وحدة الوجود عند إبن عربي إلى نظرية الكلمة لما لها مكانة خاصة في استحضار الكائن الأسمى والصفات الإلهية، وكذا لما لها تأثير على الخلفية الفكرية للحياة وباعتبارها الأقرب والأقدر.

ويظهر في تقسيم إبن عربي للمراتب الوجودية أن فكر الشيخ الكبير إبن عربي يقوم على الإيمان بثلاثية الوجود للمراتب المختلفة المتنوعة، وهو ما بين أنها ذا طبيعة برزخية.

كما أن سبب دفاع دفاع المستشرقوم زكثير من الصوفيين وكذا الأجناس الأخرى لدفاعه عن إبن عربي وعقيدته على اعتبار أنهم وجدوا في هذه العقيدة ما يلبي رغباتهم وأهواءهم.

وهذا ما بين أن العلاقة بين عقيدة وحدة الوجود والتصوف منذ ارهاصات ظهورها علاقة وظيفية فعالة وخدمة متبادلة، بل هناك تواصل لا نهائي بينهم، وهذا لا ينفي أن يكون للتصوف تراث ضخم، لذلك لابد من دراسته دراسة متوازنة وذلك لمعالجته إحدى أهم المقامات العليا، ونظرا لشيوعه وديوعه في تزكية وتطهير النفس وتهذيبها وبالتالي لا بد من أبرز الجوانب العقلية والأخلاقية.

وما يتسنى لنا قوله في الأخير أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة باطلة لا أساس لها من الصحة وتتنافي مع جميع ما جاء في الشرع، فإثبات أي تشبيه وتنزيه للخلق مع الله يسقط من عظمة الواحد والتوحيد لا يتحقق في قلب المؤمن ولا يكون إلا إذا إجتمعت ثلاثة أنواع توحيد الربوبية، وهذا يتجلى من خلال إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة لقوله تعالى: ({ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** })، وتوحيد الألوهية بإفراده تعالى بالعبادة فلا يعبد غيره ولا يستعان إلا به لقوله تعالى: ({ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** }). **سورة الأنعام الآية 162**، وآخرها توحيد الأسماء والصفات من خلال وصفه بما وصف به نفسه ووصفه رسوله –صلى الله عليه وسلم– من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل لقوله تعالى: ({ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** }). **سورة الشورى الآية 11.**

قائمة المصادر والمراجع

- **أولا: المصادر.**

- القرآن الكريم.

- صحيح مسلم

- محي الدين إبن عربي: كتاب المسائل، ترجمة: دكتور سيد محمد حامادي، مؤسسة مطالعات، نهران، دط، 1370.

- إبن عربي، الفتوحات المكية، مجلد 4، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1999-1420م.

- إبن عربي الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1394ه- 1984م.

- إبن عربي، التجليات الإلهية، تحقيق: عثمان اسماعيل يحيى، مركز نشر دانسكاه، طهران، دط، 1208ه- 1988م.

- إبن عربي، فصوص الحكم، شرح عبد الرزاق القاشاني، دار الآفاق، ط1، القاهرة، 2016.

- إبن عربي، كتاب الأحدية (الألف)، ترجمة: عبد الرحيم مارووديني، دار المحبة، دمشق، ط1، 2002م-2003م.

- محي الدين إبن عربي، اسناد الدوائر، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دس.

- إبن عربي، رسائل إبن عربي (عنقاء المغرب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مؤسسة الانتشار العربي، دط، دس.

- **ثانيا: المراجع.**

1)ابن تيمية، حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود، إشراف: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، 1349.

2)ابن تيمية، حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود، ج4، تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1349.

3)ابن تيمية، شرح الرسالة التدميرية، مكتبة الشنقيطي، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1433.

4)عبد الحليم ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على الفلسفة والقرامطة والباطنية، أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والإتحاد، تحقيق: موسى بن سليمان الدرويش، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط3، 1466-6001م.

5)احسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد، القاهرة، ط1، 1428ه-2005م.

6)عبد الله حسين، التصوف والمتصوفة، مؤسسة هنداوي، دط، 2017.

7)عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1427ه-2008م.

8)لطف الله خوجة، وحدة الأديان في تأصيلات التصوف وتقريرات المتصوفة، مكتبة فهد الوطنية، خوجة، ط1، 1432ه-2011م.

9)حسن الفاتح قريب الله، فلسفة وحدة الوجود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1414-1997م.

10) نهاد خياطة، دراسة في التجربة الصوفية، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1994-1414م.

11) عبد الله بن عجيبة، معراج التشوق إلى حقائق التصوف، تقديم: عبد المجيد حبالي، مركز التراث الثقافي المصري، الدار البيضاء، دط، 1224م.

12) عبد الفتاح سيد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1420ه-2000م.

13) عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1407ه- 1966.

14) أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، تحقيق: عبد العزيز الدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407-1986.

15) يوسف زيدان، عبد الكريم الجيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، دط، 1988.

16) عبد الكريم إبراهيم الجيلي، المناظر الإلهية، تحقيق: نجاح محمود الغنمي، دار المنار، الأزهر، دط، دس.

17) عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، ط3، دس.

18) بن علوية المستغانمي، المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، دار ابن زيدون، بيروت، ط1، دس.

19) أبي نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، دط، 1380-1960.

20) بن ابراهيم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، مكتبة القاهرة، مصر، ط1، 1420-1999م.

21) يضم إلى مؤلفات ابن تيمية شرح الرسالة التدميرية، مكتبة الشنقيطي، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1433.

22) عبد الحليم ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على الفلسفة والقرامطة والباطنية، أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، تحقيق: موسى بن سليمان

الدرويش، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط3، 1466-6001.

23) حسين نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 1986.

24) أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد اسماعيل السيد، رضا حامد، قطب، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2006م.

25) بيسرلوري، من تاريخ الهرمسة والصوفية في الإسلام، ترجمة: لويس، دار مكتبة بيبليون لبنان، ط1، 2016.

26) الترشيس، التصوف والفلسفة، ترجمة: عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولو، ميدان طلعة الحرب، القاهرة، دط، 1999.

27) أسين بلاثيوس، إبن عربي حياته ومذهبه، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، مكتبة إنجلوا المصرية، القاهرة، دط، 1965.

28) ساعد خميسي، إبن عربي المسافر العائد، الدر العربية للعلوم وناشرون، الجزائر العاصمة، ط1، 1431ه- 2010م.

29) نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

30) محمود محمود العزاب، الخيال عالم البرزخ والمثال من كلام الشيخ الكبير محي الدين إبن عربي، مطبعة نصر، سوريا، ط2، 1414-1993.

31) برهان الدين البقاعي، تنبيه العنبي إلى تكفير إبن عربي، تحقيق: عبد الرحمان الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دط، 1400ه- 1980م.

32) عبد القادر رجيب الله سندي، كتاب إبن عربي الصوفي، في ميزان البحث والتحقيق، مطبعة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1411ه-1991م.

33) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دس.

الرسائل والمذكرات:

- موصدق خديجة السي عمور، تأويل النص القرآني عند إبن عربي من خلال تفسيره، إشراف، سلطاني، قسم الحضارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 1493-1438/ 2018-2017م.

- أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1464.

- فضيلة بن عيسى، شعرية الخطاب الصوفي "ترجمان الأشواق لابن عربي نموذجا، اشراف: أحمد مسعود، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1437ه-1438ه/ 2017م-2016م.

المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله وهاشم محمد شاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1119.

- أبي حسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399.

- محمد الدين محمد بن يعقوب، فيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1462.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

- وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، موسوعة فلسفية، إشراف: روز فتال وبودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطباعة، بيروت، دط، دس.

- عبد المنعم حنفي، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1407ه-1987م.

- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، درة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1401-1981.

المجلات:

- محمد عباسة، مجلة حوليات التراث، العدد 10، جامعة مستغانم، الجزائر، 2010.

- عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم، فلسفة التصوف بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، ابن عربي نموذجا، مجلة الآداب، دس.

- عبد الحميد هيمة، الهاجس الابداعي في الكتابة الصوفية عند ابن عربي، مجلة الآداب واللغات، العدد السابع، ورقلة، الجزائر، ماي 2008.

ويبوغرافيا:

فيبوخ عبد العزيز للثغري التلمساني، شاعر البلاط الزياني ,Asjp, cerist.dz 19/04/2022، ساعة 6:20.

فهـــرس المحتويـــات

-العنوان.

-الإهداء.

-شكر وتقدير.

-مقدمة.

❖ **الفصل الأول: ماهية وحدة الوجود.**

- **المبحث الأول:** مفهوم وحدة الوجود لغة وإصطلاحا.
- **المبحث الثاني:** نشأة وحدة الوجود.
- **المبحث الثالث:** الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود.

❖ **الفصل الثاني: عقيدة وحدة الوجود عند الصوفيين**

- **المبحث الأول:** حقيقة وحدة الوجود عند الصوفيين
- **المبحث الثاني:** أساليبهم في الكلام عن وحدة الوجود
- **المبحث الثالث:** أثر وفلسفة وحدة الوجود في البيئة الصوفية
- **المبحث الرابع:** الأدلة العقلية والنقلية لبطلان وحدة الوجود

❖ **الفصل الثالث: فلسفة وحدة الوجود عند إبن عربي**

- **المبحث الأول:** مفهوم وحدة الوجود عند إبن عربي
- **المبحث الثاني:** المرجعية الفكرية لوحدة الوجود عند إبن عربي
  - ✓ **المطلب الأول:** نظرية الكلمة
  - ✓ **المطلب الثاني:** أثر المرأة في حياة إبن عربي

- **المبحث الثالث:** المراتب الوجودية
  - ✓ **المطلب الأول:** الألوهية
  - ✓ **المطلب الثاني:** حقيقة الحقائق الكلية
  - ✓ **المطلب الثالث:** العماء (الأعيان الثابتة)
  - ✓ **المطلب الرابع:** الحقيقة المحمدية
- **المبحث الرابع:** الدفاع عن وحدة الوجود
  - ✓**المطلب الأول:** الدفاع عن وحدة الوجود عند إبن عربي

-الخاتمة.

-قائمة المصادر والمراجع.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): نبيلة منال

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119991164008940002

الصادرة بتاريخ : 2017/02/07 عن دائرة : الخماسة

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 33061071

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: وحدة الوجود في الفكر الصوفي ابن عربي نموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2022/05/30

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الوعد

بطاقة التعريف رقم
صادق على
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه - عون الإدارة الإقليمية
هداجي عبد الكريم